اللمحات الدعوية للمنهج الحسي
من خلال كتاب اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع
للإمام أبو الحسن الأشعري

د/ مصطفى عبدالكريم إبراهيم

مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية

بكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق

من ١١٦٩ إلى ١٢٦٤

Advocacy glimpses of the sensory approach through the book Al-Lama in responding to the people of deviation and innovations By Imam Abu Al-Hasan Al-Ashari

Preparation
Dr. Mustafa Abdel Karim Ibrahim
Department of Islamic Call and Culture,
Faculty of Fundamentals of Religion and Call in Zagazig
Al-Azhar University -

اللمحات الدعوية للمنهج الحسي من خلال كتاب اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع للإمام أبو الحسن الأشعري

مصطفى عبدالكريم إبراهيم
قسم الدعوة والثقافة الإسلامية بكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق-جامعة الازهر-مصر
البريد الالكتروني: Dr.MostafaAbdel.team@azhar.edu.eg

الملخص :

يتناول هذا البحث بيان واستنباط الدلالات الدعوية للشواهد الحسية التي بنى عليها الإمام الأشعري مقاصده الكلامية في إثبات العقائد الإسلامية في كتابه: (اللمع)، وعليه جاء عنوان البحث: (اللمحات الدعوية للمنهج الحسي من خلال كتاب اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع للإمام أبو الحسن الأشعري).

فكتاب (اللمع) واحد من أهم كتب تراث علم الكلام الإسلامي الذي قام فيه الإمام الأشعري بمُحآجَّة المعاندين والجاحدين لعقائد الإسلام والمتجاهلين السنن الكونية الدالة على وجود الله تعالى ووحدانيته ﷻ ، وذلك بسوْق الشواهد القرآنية في آيات النفس والكون التي تظهر بطلان بدَعِهم وانحرافهم عن مقتضى الفطرة الإنسانية من الإيمان بالله تعالى، والاعتقاد المطلق بوحدانيته ﷻ.

فالدعوة إلى الله تعالى هي أسمى مقاصد العلوم الإسلامية وتراثها، والمناهج الدعوية هي لبُ مسلكها في إثبات هذا المقصد، ومن ثمَّ جاء هذا البحث من زاويةٍ تخدم مجال الدراسات البينية التي يمتزج فيها البحث الدعوي بالدرس الكلامي لبيان اللمحات الدعوية المستفادة من المنهج الحسي الذي سلكه الإمام أبو الحسن الأشعري في كتابه (اللمع) عند توظيفه للآيات الإنسانية والكونية في إثبات المسائل الاعتقادية. وما ذلك إلا لدوام حاجة البشر للدعوة إلى الله تعالى في كل وقت وحين، وهي الحاجة التي دفعت إلى كتابة هذا البحث لتأكيد واقعيتها، واستمراريتها باستمرار وجود المعاندين والملحدين.

ومن هذا المنطلق تناول البحث بالدراسة ثلاثة محاور دعوية، وهي كالتالي:

- **الآيات الإنسانية ودلالة المنهج الحسي على وجود الله ــ تعالى.**
- **النظام الكوني وتوظيف المنهج الحسي في إثبات وحدانية الله ـــ تعالى .**
- **القدرة الإلهية على بعث الموتى وتوظيف المنهج الحسي في إثباتها.**

وكان من أهم النتائج التي توصل إليها البحث أن القرآن الكريم ساق دون تعقيد الشواهد الحسية التي تدل قطعاً بالنظر والاستدلال على وجود الله تعالى ووحدانيته وكمال قدرته ﷻ، فقد جاء القرآن الكريم بهذه الشواهد قريبةَ الفهمِ والأدراك للعقل الإنساني، وأن الإنكار والتنكُّر لهذه الحقائق الإيمانية هما فقط سبيل الجاحدين والملحدين عنها.

الكلمات المفتاحية: اللمحات ؛الدعوية؛ المنهج الحسي؛ كتاب اللمع ؛ أهل الزيغ ؛البدع ؛الإمام أبو الحسن الأشعري

The DA'wah Glimpses Of The Sensory Approach Through The Book Of Allama In Response To The Ahl al-Zeeg And Fads Of Imam Abu Al-Hassan Al-Ash'ari.

Mustafa Abdel Karim Ibrahim
Department Of Islamic DA'wah And Culture, Faculty Of Fundamentals Of Religion And DA'wah In Zagazig - Al-Azhar University
Email: Dr.MostafaAbdel.team@azhar.edu.eg

Abstract:

This research deals with the statement and derivation of the DA'wah connotations of sensory evidence on which Imam Al-ash'ari based his verbal intentions in proving Islamic dogmas in his book (Allama), and therefore the title of the research came: (the DA'wah glimpses of the sensory approach through the book of Allama in response to the Ahl al-zeeg and fads of Imam Abu al-Hassan al-Ash'ari).

The book (Allama) is one of the most important books of the heritage of Islamic theology, in which Imam Al-ash'ari argued against the stubborn and ungrateful of the dogmas of Islam and ignoring the cosmic Sunnah indicative of the existence of Allah Almighty and his oneness, His Majesty, through the market of Quranic evidence in the verses of the soul and the universe that show the invalidity of their heresy and deviation from the requirements of human instinct of faith in Allah Almighty, and the absolute belief in his oneness, His Majesty.

Therefore, this research came from an angle that serves the field of inter-disciplinary studies, in which the research of Da'wah is mixed with the verbal lesson to indicate the DA'wah glimpses learned from the sensory approach taken by Imam Abu Al-Hasan Al-ash'ari in his book (Allama) when he employed the human and cosmic verses in proving matters of belief. This is only because of the constant need of human beings to call to Allah Almighty at all times and Times, which is the need that prompted me to write this research to confirm its reality, and its continuity with the continued existence of stubborn and atheists.

From this point of view, the research dealt with three invited axes, which are as follows:

-The signs of humanity and the evidence of the sensory approach to the existence of God-Almighty.

-The cosmic order and the use of the sensory method in proving the oneness of God. ـــــ Almighty..

-The divine ability to resurrect the dead and employ the sensory method in proving it.

One of the most important findings of the research was that the Holy Qur'an presented without complication the sensory evidence that definitely indicates the existence of Allah, the Almighty, his oneness and the perfection of his power, His Majesty, The Holy Qur'an has brought these evidence close to the understanding and understanding of the human mind, and that denial and denial of these truths of faith are only the way of the ungrateful and atheists. –

Keywords: Glimpses; Advocacy; Sensory Approach; The Book Of Almanhaj; People Of Deviation, Heresies, Imam Abu Al-Hasan Al-Ashari.

المقدّمة:

الحمد لله خالق الأسباب، جعل الأرض لخلقه مهاداً، ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، له الأسماء الحسنى، وجميل الصفات، سبحانه وتعالى جل جلاله، له الحمد عدد ما في السماوات وما في الأرض، القائل في محكم كتابه الكريم: ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [النمل: ٥٩]. والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم،

وبعـــــــــــد

فإنه مع انتشار الإسلام في مختلف بقاع الأرض واختلاط المسلمين بغيرهم من أرباب الديانات والملل من أهل الكتاب والمجوس والصابئة، وغيرهم من أهل الأهواء والنحل، ظهرت في الإسلام فرق انحرفت في اعتقاداتها الأصولية من الدين، وتحققت نبوءة النبي ﷺ حين قال ﷺ : ﴿لَيأتِيَنَّ على أمتي ما أتى على بني إسرائيلَ، تَفَرَّق بنو إسرائيل على اثنتين وسبعين مِلَّةً، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة تزيد عليهم ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة . قالوا: يا رسول الله، وما الملة التي تتغلَّب؟ قال: ((ما أنا عليه وأصحابي))﴾[(١)]، وقد أخذت هذه الفرق الإسلامية في التشعُّب حتى ظهر إلى جانبها فرق غير إسلامية، كالسبئية[(٢)]، وحينها اتسعت دائرة الانحراف في أصول الدين العقائدية عند هؤلاء ومن تأثر بهم، وكلما كانت تتسع دائرة

---

(١) رواه الترمذي في سننه، ك/الإيمان، ب/ ما جاء في افتراق هذه الأمة،١/٤١، رقم٢٦٤٠، وقال فيه: حديث حسن صحيح، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مطبعة البابي الحلبي، ط٢ ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ج٥، ص٢٤.

(٢) السبئية: أتباع عبدالله بن سبأ الذي غلا في علي ﷺ وزعم أنه كان نبياً، ثم غلا فيه حتى زعم أنه إله، ودعا إلى ذلك قوماً من غواة الكوفة، ورُفع خبرهم إلى علي ﷺ فأمر بإحراق قوم منهم في حفرتين، أنظر: الفرق بين الفرق لأبي منصور عبدالقاهر البغدادي، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الطلائع (القاهرة) ٢٠٠٩م، ص١٧٤.

انتشار فكر هذه الفرق الضآلة، كانت تضيق دائرة الإيمان بأصول الدين دون الزَّب عنها بالاستدلال العقلي عليها.

حينها ظهر في المسلمين علمٌ جديدٌ، وهو (علم الكلام) ، ذلك العلم الذي كانت غاية المتكلمين فيه من أهل السنة والجماعة الوقوف في وجه هؤلاء المنحرفين والمبتدعين في الدين، ومناظرة أرباب الديانات الأخرى الذين كانوا يحاجُّون المسلمين في أصول عقائدهم.

وحينذاك أضحى إيمان البعض من المسلمين وغيرهم بالمسائل الاعتقادية مشروطاً بالكلام فيها، كالإيمان بالله تعالى ووحدانيته، وذاته، وصفاته، وأفعاله ﷻ، والإيمان بالرسل، والأمور السمعية، وبالإيمان بالقضاء والقدر، والوعد والوعيد ...إلخ. وبات الدفاع عن هذه الأصول العقائدية بالاستدلال والنظر في الأدلة الشرعية أمراً محتوماً لمواجهة هؤلاء المنحرفين في الدين وأهل البدع.

وقد كان الإمام الأشعري والذي ينسب إليه المذهب الأشعري من أئمة علم الكلام على مذهب أهل السنة والجماعة الذين تصدوا لخصوم الإسلام، وهموا بالرد على أهل الأهواء والابتداع في أصول الدين، وكتاب ((اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع)) واحد من أهم مصادر معرفة منهج الأشاعرة في الدفاع عن مسائل العقيدة الإسلامية برؤيةٍ، هي في الأصل دعوية؛ حيث القيام باستخدام المناهج الدعوية التي يتسم فيها منهج الاستدلال بالجمع بين النص والعقل والشاهد الحسي انطلاقاً من دعوة القرآن الكريم للعقل الإنساني إلى لفت نظره في آفاق نفسه والكون من حوله للوصول إلى إدراك الحقيقة حول أصل وجوده، ومعرفة خالقه ﷻ، ومن أبرز الشواهد الدالة على انتهاج القرآن الكريم هذا المنهج في الاستدلال على قضايا الدعوة الإسلامية العقدية قول الله تعالى في إثبات وحدانيته: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]، وكقوله تعالى﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات: ٢٠ــــ٢١]، فإنه من منطلق هذا النهج القرآني في إثبات عقائد الإسلام قام علماء الكلام من المسلمين ومنهم الإمام الأشعري بلفت نظر المعاندين والمتجاهلين للسنن الكونية إلى النظر في شواهد النفس والطبيعة وسائر الموجودات للإيمان بوجود الباري ﷻ والاعتقاد بوحدانيته ﷻ، وبذلك تتكشف حقيقة أن جميع العلوم الإسلامية إنما تخدم في الأصل قضايا الدعوة الإسلامية (العقدية ــ التشريعية ــ الأخلاقية)، وأن مناهج الدعوة هي لبُ

مسلك هذه العلوم، وما ذلك إلا لدوام حاجة البشر للدعوة إلى الله تعالى في كل وقت وحين، وهي الحاجة التي دفعت إلى كتابة هذا البحث لتأكيد واقعيتها، واستمراريتها باستمرار وجود المعاندين والملحدين، وذلك من زاويةٍ تخدم مجال الدراسات البيَّنيَّة التي يمتزج فيها البحث الدعوي بالدرس الكلامي لاستنباط محتواه الدعوي ببيان اللمحات الدعوية المستفادة من المنهج الحسي الذي سلكه الإمام أبو الحسن الأشعري في كتابه (اللمع) عند إثباته مقاصده الكلامية في المسائل الاعتقادية.

- أسباب اختيار الموضوع وأهدافه:

١. تبني منهجية التنقيح للتراث الإسلامي بشتى مجالاته المعرفية بهدف إبراز الجوانب الدعوية المستفادة منه في الفكر المعاصر.
٢. بيان أصالة المناهج الدعوية في التراث الإسلامي، ومعاصرتها باستخراج اللمحات الدعوية المستفادة منها، كبيان اللمحات الدعوية المستفادة من الشواهد الحسية التي ساقها الإمام الأشعري في كتابه (اللمع) عند إثباته للعقائد الإسلامية.
٣. التجديد في الدراسات الدعوية بمنهجية بيَّنيَّة تعكس الفكر الدعوي في دراسات علم الكلام الإسلامي، وذلك من منطلق دوام حاجة البشر إلى إثبات وجود الله تعالى ووحدانيته، وإثبات الاعتقاد بالبعث.

- منهج البحث:

أما المنهج الذي سلكتُ في هذا البحث فهو وصف وتحليل المقاصد العقائدية التي أراد الإمام أبو الحسن الأشعري إثباتها بالكلام فيها بمنهج النظر والاستدلال في الشواهد الحسية الدالة عليها من القرآن الكريم، ثم القيام بتحليل واستنباط أهم اللمحات الدعوية المستفادة من هذه الشواهد الحسية المُساقة لإثبات هذه المسائل الاعتقادية محل الكلام، إذ المنهج الحسي منهج دعوي، ثم القيام بعرض هذه اللمحات الدعوية في صورة خطوط عريضة تهدف إلى مواجهة خصوم الدعوة الإسلامية من الماديين المنكرين لقضاياها في الفكر المعاصر، وذلك بالاستناد إلى الأدلة التي تهدم رأيهم رأساً، وتبدد مخططاتهم أفقاً في توسيع دائرة فكرهم الإلحادي في الواقع.

- خطة البحث:

يحتوي هذا البحث على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث:

- المقدمة وفيها: ملخص فكرة البحث، وأسباب اختيار البحث وأهدافه، ثم منهج البحث.
- التمهيد وفيه: التعريف بالإمام الأشعري ــ التعريف بالمنهج الدعوي الحسي.
- المبحث الأول: الآيات الإنسانية ودلالة المنهج الحسي على وجود الله تعالى.
- المبحث الثاني: النظام الكوني وتوظيف المنهج الحسي في إثبات وحدانية الله تعالى .
- المبحث الثالث: القدرة الإلهية على بعث الموتى وتوظيف المنهج الحسي في إثباتها.
- خاتمة البحث: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.
- ثبت المصادر والمراجع.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد ﷺ

التمهيد

أولا: لمحة موجزة عن الإمام أبي الحسن الأشعري[١]

(١)اسمه ونسبه:

هو الشيخ أبو الحسن الأشعري، وإنما قيل له الأشعري لأنه من ولد الصحابي الجليل أبي موسي الأشعري ﷺ، وهو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر، واسمه إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبدالله بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري البصري، إمام المتكلمين، رئيس الأشاعرة، وإليه ينسبون، وشيخ طريقة أهل السنة والجماعة، وناصر سنَّة سيد المرسلين، والذَّاب عن الدين.

ولد سنة ست وستين ومائتين، وقيل سنة سبعين، وكانت فيه دعابةٌ ومزح كثيرٌ، سكن بغداد إلى أن توفي بها سنة أربع وعشرين وثلاثمائة ه .

(٢) علمه وفكره:

كان الإمام أبو الحسن الأشعري من أئمة المعتزلة؛ حيث عاش في كنف أبي علي الجُبّائي[٢] شيخ المعتزلة في عصره، فإن أبا عليٍّ كان زوج أمه، وعنه تلقي الأشعري علومه حتي صار نائبه وموضع ثقته، وتزعم المعتزلة أربعين سنة. وكان الأشعري في حداثة سنه فناظر الجبائي في مسألة وجوب الصلاح

---

(١) انظر: طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين السبكي، تحقيق: محمود محمد الطناحي ـ عبدالفتاح محمد الحلو ، دار إحياء الكتب العربية (مطبعة عيسى الحلبي وشركاه) ط١ ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م، ج٣ ص٣٤٧.
وانظر: كتاب الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي، تحقيق: أحمد الأرنأووط ـ تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي (بيروت ـ لبنان) ط١ ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م ج٢٠ ص١٣٧.
وانظر: تاريخ مدينة السلام للخطيب البغدادي، تحقيق: بشار عواد معروف ـ دار الغرب الإسلامي، ط١ ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ج١٣ ص٢٦٠.
وانظر: تاريخ الإسلام للذهبي، تحقيق: د/عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي (بيروت ـ لبنان)، ط١ ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ج٢٤ ص١٥٤.

(٢) الجُبّائي : أبو علي محمد بن عبدالوهاب الجبائي، والجبائي نسبة إلى قرية بالبصرة، وأبو علي هو المتكلم شيخ المعتزلة، وصاحب مقالاتهم، له كتاب في التفسير والجامع والرد على أهل السنة، ولد سنة خمسة وثلاثين ومائتين ، ومات في شعبان سنة ثلاث وثلاثمائة ، أنظر: الأنساب للسمعاني، دار الجنان (بيروت ـ لبنان) ط١ ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج٢ ص١٧.

والأصلح على الله تعالى، وباهته فيها الأشعري، فقال الجُبَّائي للشيخ أبي الحسن: أوسوست؟ فقال أبو الحسن: ما وسوست، ولكن وقف حمار الشيخ على القنطرة، وعند ذلك فارق الأشعري مذهب المعتزلة.

فإنه لما أراده الله لنصرة دينه وشرح صدره لاتباع الحق، غاب الإمام أبو الحسن الأشعري عن الناس في بيته خمسة عشر يوماً، ثم خرج إلى الجامع وصعد على المنبر، وقال: معاشر الناس، إنما تغيبت عنكم هذه المدة؛ لأني نظرت فتكافأت عندي الأدلة، ولم يترجح عندي شيء على شيء، فاستهديت الله تعالى، فهداني إلى اعتقاد ما أودعته في كتبي هذه، وانخلعت من جميع ما كنت أعتقده، كما انخلعت من ثوبي هذا، وانخلع من ثوب كان عليه ورمى به، ودفع الكتب التي ألفها على مذاهب أهل السنَّة للناس[١].

وجاء في الوافي بالوفيات : أنه نادى بأعلى صوته من على المنبر حينذاك قائلاً : من عرفني فقد عرفني، فأنا فلانٌ كنت أقول بخلق القرآن، وأن الله لا يُرى بالأبصار، وأن أفعال الشر أنا أفعلها، وأنا تائب معتقدٌ الردَّ على المعتزلة، مبينٌ لفضائحهم ومعايبهم . قال أبو بكر الصيرفي[٢]: كانت المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم حتى أظهر الله الأشعري فحجزهم في أقماع السمسم [٣].

وجاء في طبقات الشافعية: أن الأشعري رجع عن مذهب الاعتزال لثلاث رؤىً منامية رآى فيها النبي ﷺ، من شهر رمضان، أمره فيها النبي ﷺ بنصرة سنَّته [٤]. كما جاء أيضاً أنه كان سيداً في التصوف واعتبار القلوب، كما هو سيدٌ في علم الكلام وأصناف العلوم [٥].

(٣) تصانيفه:

كان الإمام أبو الحسن الأشعري صاحب التصانيف الكلامية في الأصول، والملل والنحل، والرد على المُلحدين، فله كتاب ((الإبانة))، وكتاب ((جمل

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى، مصدر سابق، ج٣ ص٣٤٧،٣٤٨.
(٢) المصدر نفسه، ص٣٤٨.
(٣) الوافي بالوفيات، مصدر سابق، ج ٢٠ ، ص١٣٧،١٣٨.
(٤) هو محمد بن عبدالله أبو بكر الصيرفي، الإمام الجليل، الأصولي، أحد أصحاب الوجوه المسفرة عن فضله، والمقالات الدالة على جلال قدره، وكان يقال: إنه أعلم خلق الله تعالى بالأصول بعد الشافعي، ومن تصانيفه ((شرح الرسالة)) و ((كتاب في الإجماع)) و((كتاب في الشروط)) توفي سنة ثلاثين وثلاثمائة. المصدر نفسه ج٣ ص١٨٦.
(٥) طبقات الشافعية الكبرى، ج٣ ص٣٥١.

المقلات))، وكتاب ((فرق الإسلاميين واختلاف المصلين))، وقال الإمام أبو محمد ابن حزم[١]: إن الأشعري له من التصايف خمسة وخمسون تصنيفاً، ومن تصانيفه: كتاب ((اللمع))، وكتاب ((الموجز))، وكتاب ((إيضاح البرهان))، وكتاب ((التبيين عن أصول الدين))، وكتاب ((الشرح والتفصيل في الرد على أهل الإفك والتضليل))، وله تفسير يقال إنه في سبعين مجلداً [٢].

(٤) ثانيا: تعريف المنهج الدعوي الحسي

- المنهج في اللغة: يقال : نهج : طريقٌ نَهجٌ : بينٌ واضحٌ، وفى التنزيل : ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾ [٣] . والمِنهاجُ : الطريقُ الواضحُ، واستنهجَ الطريقُ : صار نهجاً [٤] .

أما فى الاصطلاح: فهو الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة فى العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة التى تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة [٥].

وعليه يمكن القول بأن المنهج الدعوي هو الطريق الواضح والبيِّن الذي يسلكه الداعية وينتهجه في مسيرته الدعوية على أسس من القواعد

---

(٦) ابن حزم (٣٨٤ ـ ٤٥٦هـ / ٩٩٤ ـ ١٠٦٤م) علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري ، أبو محمد . عالم الأندلس في عصره وأحد أئمة الإسلام . ولد بقرطبة . وكانت له ولأبيه من قبله رياسة الوزارة وتدبير المملكة، فزهد بها وانصرف إلى العلم والتأليف، ومن أشهر مصنفاته ((الفصل في الملل والأهواء والنحل)) وله ((المحلى)) في ١١ جزءا في الفقه ، و ((إظهار تبديل اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل، وبيان تناقض ما بأيديهم مما لا يحتمل التأويل)) ، الوافي بالوفيات، مصدر سابق ج٢٠ ص٩٣.

(١) الوافي بالوفيات، مصدر سابق، ج ٢٠ ، ص١٣٨.

(٢) المائدة، الآية (٤٨).

(٣) لسان العرب لابن منظور، مادة (نهج) ، باب (النون) ج٧ ص٣٦٥، دار صادر (بيروت) ط٦ ٢٠٠٨م.

(٤) أصول البحث العلمى ومناهجه، د. أحمد بدر، وكالة المطبوعات عبدالله حرمى (الكويت) ، ط٦ ١٩٨٢م، ص٣٣.

والأصول الدعوية الشرعية لتحقيق الثمرة والغاية من دعوته . والمنهج الدعوي الحسي هو أحد هذه الطرق.

- المنهج الدعوي الحسي: هو مجموعة الأساليب الدعوية التي ترتكز على الحواس، وتعتمد على المشاهدات والتجارب [١].

فالمنهج الدعوي الحسي هو الطريق الذي يسلك الداعيةُ فيه أسلوب لفت انتباه المدعو لما يخضع للحس والمشاهدة في آفاق النفس والكون، والاستفادة من العلوم التطبيقية فيهما في استنباط الاستدلالات النظرية على صحة القضايا الدعوية، وذلك انطلاقاً من دعوة القرآن الكريم والسنَّة النبوية إلى تبني هذا المنهج، من ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝٢٠﴾ [الغاشية: ٧- ٢٠]، وقوله تعالى:﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١].

(٥) للمزيد أنظر: المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة (بيروت) ط٣ ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص٢١٤.

المبحث الأول

الآيات الإنسانية ودلالة المنهج الحسي على وجود الله تعالى

أولا: مقاصد الكلام في خلق الإنسان عند الإمام الأشعري:

تتحدد مقاصد الإمام الأشعري من الكلام في خلق الإنسان في أمرين، وهما:

أ. إثبات وجود الله تعالى

إن الإمام الأشعري استنبط استدلالاً نظرياً من الشواهد الحسية الدالة على وجود الله تعالى، وإثبات أنه ﷻ الخالق لهذا الكون، وموطن الشاهد الحسي هذا يكمن في خلق الإنسان ومراحل تكوينة من النطفة وحتي الشيخوخة والهرم، فيقول الإمام الأشعري: "كان (أي الإنسان) نطفة ثم علقة ثم لحماً ودماً وعظماً، وقد علمنا أنه لم ينقل نفسه من حال إلى حال؛ لأنا نراه في حال كمال قوته وتمام عقله لا يقدر أن يُحدث لنفسه سمعاً ولا بصراً، ولا أن يخلق لنفسه جارحة. يدل ذلك على أنه في حال ضعفه ونقصانه عن فعل ذلك أعجز؛ لأن ما قدر عليه في حال النقصان فهو في الكمال عليه أقدر، وما عجز عنه في حال الكمال فهو في حال النقصان عنه أعجز. ورأيناه طفلاً ثم شاباً ثم كهلاً ثم شيخاً، وقد علمنا أنه لم ينقل نفسه من حال الشباب إلى حال الكبر والهرم؛ لأن الإنسان لو جهد أن يزيل عن نفسه الكبر والهرم ويردها إلى حال الشباب لم يمكنه ذلك، فدل ما وصفنا على أنه ليس هو الذي ينقل نفسه في هذه الأحوال، وأن له ناقلاً نقله من حال إلى حال ودبره على ما هو عليه "[١].

(١) اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع للإمام أبو الحسن الأشعري، قدم له وعلق عليه: د. حموده غرابه، مطبعة مصر ١٩٥٥م، ص١٧، ١٨.

ب. نفي الشريك عن الله تعالى في صفة (القدم) بإبطال دعوى أزلية[١] (المادة و النطفة).

ففي مقابل الحقيقة اليقينية بوجود الإنسان وسائر المخلوقات من عدم (أي من لا شئ) بقدرة الله تعالى، يظهر قول منكري وجود الله ـــــ تعالى ـــ وقدرته ﷻ على الخلق، فيذهب هؤلاء إلى الادعاء بأن مادة وجود المخلوقات في هذا العالم (أزلية)، وهي دعوى رصدها الإمام الأشعري في (النطفة)، وهو ادعاء أجوفٌ يسير بالعقل إلى توهم وجود شريك لله تعالى في صفة (القدم)، تلك الصفة التي تقضي بتنزيه الله تعالى عن مشابهة خلقه، فهو ﷻ ﴿ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾ ، وأنه ﷻ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، وكيف تكون مادة وجود الإنسان أزلية، ولا ينكر الإنسان العاقل أنها مخلوقة من عدم، بدليل ما يحدث فيها من متغيرات وتقلبات.

يقول الإمام الأشعري: " فإن قالوا: فما يؤمنكم أن تكون النطفة لم تزل قديمة؟ قيل لهم: لو كان ذلك كما ادعيتم لم يجز أن يلحقها الاعتمال والتأثير، ولا الانقلاب والتغيير؛ لأن القديم لا يجوز انتقاله وتغيره، وأن يجري عليه سمات الحدث؛ لأن ما جرى ذلك عليه ولزمته الضعة لم ينقل من سمات الحدث، وما لم يسبق المحدث كان محدثاً مصنوعاً؛ فبطل بذلك قدم النطفة وغيرها من الأجسام " [٢].

---

(٢) الأزلية من الأَزَل: وهو دوام الوجود في الماضي كما أن الأبد دوامه في المستقبل، وقيل هو استمرار الوجود في أزمنة مقدرة غير متناهية في جانب الماضي، أنظر: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، للعلامة محمد علي التهانوي، تحقيق: د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون ط١ ١٩٩٦م ج١، ص١٤٣.

(١) اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، ص١٩.

ثانيا: اللمحات الدعوية المستفادة من توظيف آيات خلق الإنسان في إثبات وجود الله تعالى.

إن الإنسان هو أحدث مخلوقات الله تعالى على الأرض، على نحو ما قرره علماء الطبيعة والتاريخ البشري[١]، ومن الناحية التاريخية ظل معتقد البشرية في الغالب والأعم أن وجودها في الطبيعة يعود إلى قوة غيبية ليست من جنس قوى الطبيعة التي تنتمي إليها، وهذا هو جوهر الفكرة الإسلامية التي أعلنت بوضوح غير مشوب بنظريات فلسفية تجريدية أو مادية أن الإنسان هو أحد مخلوقات الله تعالى، حيث زلزلت آيات القرآن الكريم عند نزولها في القرن السابع الميلادي تصورات البشر الخاطئة المتعلقة بوجودهم في هذا الكون، وذلك لتصحيح مسار معتقدهم حول القوة الغيبية، والفاعلة في الحقيقة لوجودهم، والذي على أساس الاعتقاد الخاطيء بشأنها اتجه كثير من الناس إلى تخيُّلها في صور متعددة، فعبدوها كآلهة لقرون عديدة في الكواكب والنجوم وأصنام الحجارة، والنار ....إلخ، وما ذلك إلا بسبب الوقوع في فخ الشرك الذي نصبه لهم الشيطان في معركته الأبدية مع البشر، مصداقاً لما جاء عن النبي ﷺ عن ربه: "وإني خلقتُ عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فأضلّتهم عن دينهم،وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أُنزل به سلطاناً"[٢].

وقد كانت دعوات الأنبياء ورسالتهم عامل هدى ورشاد للبشرية في عبادتهم لله تعالى، لكن لم يكن يؤمن معهم إلا القليل من الناس، قال تعالى ــ حكاية عن نوح عليه السلام: ﴿ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [٣]. فجاء وحي القرآن الكريم المُعجز الذي غاص بالإنسان إلى أعماق تكوينه الخِلْقي للاهتداء ــ ما لم يكن جاحداً ــ إلى معرفة خالقه الحقيقي سبحانه وتعالى، ولبيان فساد تصوراته الخاطئة التي ربطت سبب وجوده بظواهر الطبيعة، وجعلته أسيراً لها، فاقداً البصر والبصيرة

---

(٢) للمزيد من التفاصيل أنظر: آيات الله في نشأة الحياة على الأرض وظهور الإنسان، الموسوعة الكونية الكبرى، مجموعة من الباحثين، المكتبة العصرية (صيدا - بيروت) ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ص٩١.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده، شرح وتحقيق: حمزة أحمد الزين، ١٦٤/٤ حيث رقم ١٧٤١٤، وقال المحقق: الحديث إسناده صحيح. دار الحديث (القاهرة) ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م ، ج١٣، ص٣٨٧.

(١) هود، من الآية (٤٠).

فعبدها، وترك عبادة الخالق ﷻ المستحق وحده الحمد والثناء على صُنعه، قال تعالى: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(١).

ثم ظهر في الفكر الغربي الحديث في القرن الثامن عشر الميلادي تقريباً ما يسمى بنظرية التطور(٢)، تلك النظرية التي ذهب القائلون بها إلى أن الحياة مجرد عمليات كيميائية خالصة، وأنه لا فرق بين الإنسان وسائر الكائنات الحية إلا في الكم، فهو ــ في زعمهم ــ مجرد خلية حية تطورت عبر التاريخ عن أحد أنواع القردة حتى وصلت إلى ما وصلت إليه الآن من تمام الخِلْقةِ وكمال العقل، لتخلق هذه النظرية عند من آمن بها من البشر مساراً مختلفاً عن سابقتها حول علاقتهم بالخالق ﷻ، فإذا كان الإنسان القديم قد تخيل خالقه ــ معاذ الله ــ في الأصنام والكواكب والنجوم ...إلخ ، فإن نظرية التطور هذه جعلت من آمن بها من البشر يجردون عقولهم ووجدانهم من الإيمان بالله تعالى، ليحصر الإنسانُ بذلك سبب وجوده فقط في أسباب الطبيعة المادية، ثم لتثبيت هذا المعتقد الباطل راح هؤلاء الماديون يدافعون عن دعواهم هذه بدعوى (أزلية المادة)، وإنكار القول بحدوثها، أي نفي وجودها من العدم المطلق، وما ذلك إلا لأنهم يرفضون التسليم بعجزهم المشهود عن فهم سر الحياة، وكيف أنها بدأت على الأرض، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾(٣).

وإذا كان الإمام الأشعري قد قصد من الناحية الكلامية عن خلق الإنسان إثبات وجود الله تعالى، وإبطال دعوى أزلية (المادة أو النطفة) بالاستدلال النظري من الشواهد الحسية لمتغيراتها وتحولاتها الخِلقية، فإنه في سياق هذا الطرح الكلامي الذي امتزج فيه الاستدلال النظري بالحسي يمكن تحديد أهم الملامح الدعوية المستفادة منه في أمرين:

- الأول: مواجهة التيار المادي بإثبات أن الإنسان مخلوق لله وليس من صُنع الطبيعة.

---

(٢) الجاثية، الآية (٣٦).

(٣) للمزيد أنظر: الإنسان في الكون بين القرآن والعلم، د: عبدالعليم عبدالرحمن خضر، عالم المعرفة (جدة) ط١ ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص٦٤ وما بعدها.

(٤) الكهف، الآية (٥١).

○ الثاني: بيان دور الإعجاز العلمي للقرآن في خلق (النطفة) في بطلان دعوى أزليتها.

(أ) مواجهة التيار المادي بإثبات أن الإنسان مخلوق لله تعالى وليس من صُنع الطبيعة.

١. إثبات أن خالق الإنسان وموجده هو الله تعالى.

قال تعالى ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾[١]، **فإنه في سياق هذه الحقيقة القرآنية شرع القرآن الكريم في أخذ الإنسان إلى معرفة أصل خلقته بتحولاتها التي تطرأ عليها، وذلك بدأً من التراب والطين، مروراً بالنطفة ثم المضغة حتى اكتمل وصار إنساناً من أحسن ما خلق الله تعالى.**

– **قال تعالى:**﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ ﴾[٢].

– **وقال تعالى:**﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾[٣].

– **وقال تعالى:** ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[٤].

– **وقال تعالى:**﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا ۚ ﴾[٥].

فهذه الآيات الكريمة تضمنت الإشارة الصريحة إلى التحولات المتغايرة التي تحدث في مراحل خلق الإنسان منذ لحظة استقراره نطفة في رحم أمه وحتى يصير إنساناً مكتمل الخِلقة والجوارح، وكذلك التُغيرات التي تطرأ عليه خلال مراحل عمره من الصغر وحتى سن الشيخوخة والهرم، وهي كلها شواهد

---

(١) طه، الآية (٥٥).
(٢) الحج، الآية (٥).
(٣) المؤمنون، الآيات (١٢-١٤).
(٤) النحل، الآية (٧٨).
(٥) غافر، الآية (٦٧).

حسية ينتجُ عنها استنباط الاستدلال العقلي على كمال قدر الله تعالى وإثبات أنه ﷻ الخالقُ للإنسان، فكمال خلق الإنسان وتمامه من كمال قدرة الله تعالى، القائل في محكم التنزيل: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (١).

فكمال الصنعة من كمال الصانع، وليس من المصنوع، فهذه التحولات الخِلْقِية والتغيرات العُمرية في الإنسان محالٌ أن تحدث فيه من تلقاء أنفسها، وإلا فهل يملك الإنسان القدرة لأن يصل بتكوينه الخلقي من النطفة إلى مرحلةٍ من الكمال الخِلْقي المُعجز كما هو مشهود فيه لدرجةٍ يعجز فيها هذا الإنسان عن إحصاء نعم الله تعالى عليه، مصداقاً لقوله تعالى ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٢)، أم هو عاجزٌ عن فعل ذلك؟، وكيف يفعل ذلك وهو لا يملك لنفسه شيئاً، قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ (٣)، ففاعل الكمال والتمام في خلقه هو الله ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ (٤)، وليس على الإنسان سوى أن يؤمن إيماناً مطلقاً بأن الذي أحسن خلقه وأكمل عقله على ما هو عليه هو الله ﷻ صاحب الكمال المطلق في صفاته وأفعاله.

وقد كان هذا الاستدلال العقلي هو ما استوقف عنده الإمام الأشعري فقال: " كان (أي الإنسان) نطفة ثم علقة ثم لحماً ودماً وعظماً، وقد علمنا أنه لم ينقل نفسه من حال إلى حال؛ لأنا نراه في حال كمال قوته وتمام عقله لا يقدر أن يحدث لنفسه سمعاً ولا بصراً، ولا أن يخلق لنفسه جارحة. يدل ذلك على أنه في حال ضعفه ونقصانه عن فعل ذلك أعجز؛ لأن ما قدر عليه في حال النقصان فهو في الكمال عليه أقدر، وما عجز عنه في حال الكمال فهو في حال النقصان عنه أعجز. ورأيناه طفلاً ثم شاباً ثم كهلا ثم شيخا، وقد علمنا أنه لم ينقل نفسه من حال الشباب إلى حال الكبر والهرم؛ لأن الإنسان لو جهد أن يزيل عن نفسه الكبر والهرم ويردها إلى حال الشباب لم يمكنه ذلك، فدل ما وصفنا على أنه ليس هو الذي ينقل نفسه في هذه الأحوال، وأن له ناقلاً نقله من حال إلى حال ودبره على ما هو عليه ".

---

(١) التين، الآية (٤).
(٢) النحل، الآية (١٨).
(٣) الأعراف، الآية (١٨٨).
(٤) السجدة، الآية (٧).

٢. نفي تمام الصَنعة في خلق الإنسان وكمال عقله بغير مدبر لهما، وهو الله ﷻ.

قال تعالى عن ذاته المقدسة ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ﴾[١]، وقال تعالى ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾[٢] وفي سياق هاتين الآيتين الكريمتين كانت قضية إثبات أن جميع مخلوقات هذا العالم مخلوقةٌ من العدم المطلق هي القضية الرئيسة عند علماء الكلام من المسلمين[٣]، وذلك لإثبات أن الله تعالى واحدٌ لا شريك له في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله، فهو وحده ﷻ الأول قبل كل شئ، وهو الآخر ولا شئ بعده، وما سواه من المخلوقات في هذا العالم هي من مقتضيات وجوده وقدرته ولطائف حكمته، ومرحلة (العدم) عند هذه المخلوقات تسبق مرحلة (الحياة) فيها، قال تعالى﴿كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾[٤].

قال الطاهر بن عاشور[٥]: قوله تعالى ﴿وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡ﴾ جملة حالية وهي تخلص إلى بيان ما دلت عليه كيف بطريق الإجمال وبيان أولى الدلائل على وجوده وقدرته تعالى، وهي ما يشعر به كل أحد من أنه وُجد بعد (عدم) . ولقد دل قوله تعالى ﴿وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡ﴾ أن هذا الإيجاد على حال بديع، وهو أن الإنسان كان مركبُ أشياءٍ، موصوفاً بالموت، أي لا حياة فيه؛ إذ كان قد أخذ من العناصر المتفرقة في الهواء والأرض فجمعت في الغذاء، وهو موجود ثان ميت ثم استخلصت منه الأمزجة من الدم وغيره وهي ميتة،

---

(١) الحديد، من الآية (٣).
(٢) القصص، من الآية (٨٨).
(٣) يسمى هذا الدليل، دليل (حدوث العالم)، وتتم صياغته في صورة مقدمات ونتائج، ومفاده كالآتي:
١ـ كل متغير حادث (مقدمة صغرى)، ٢ـ وكل حادث لابد له من محدث (مقدمة كبرى)، ٣ـ (النتيجة): أن محدث هذا العالم هو الله ـ تعالى .
(٤) البقرة، الآية (٢٨).
(٥) الإمام الطاهر بن عاشور: (٠٠٠ ـ ١٢٨٤هـ / ٠٠٠ ـ ١٨٦٨م) محمد بن الطاهر بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور : نقيب أشراف تونس وكبير علمائها ٠ توفى بتونس ٠ له كتب منها ((شفاء القلب الجريح ـ ط)) فى شرح البردة ، و ((هدية الأريب ـ ط)) حاشية على القط لابن هشام ، فى النحو، أنظر ، الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين) لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين (بيروت) ط١٥ مايو ٢٠٠٢م، ج٦ ص ١٧٣.

ثم استخلص منه النطفتان للذكر والأنثى، ثم امتزج فصار علقة ثم مضغة كل هذه أطوار أولية لوجود الإنسان وهي موجودات ميتة، ثم بثت فيه الحياة بنفخ الروح فأخذ في الحياة إلى وقت الوضع فما بعده، وكان من حقهم أن يكتفوا به دليلاً على انفراده تعالى بالإلهية "[١] .

وقد كان النظر والاستدلال فيما هو خاضع للحس المشاهدة في هذا العالم من دوام تغيير أحوال المخلوقات والتي في مقدمتها الإنسان دليل تدبير إيجاد المخلوقات من العدم المطلق مصداقاً لقوله تعالى ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾[٢]، وقال تعالى﴿۞ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾[٣]، وإيجاد المخلوقات من العدم دليل حاجتها إلى خالقها ﷻ، وأن الله ﴿هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾[٤]،

فلا يقبل العقل تصور عمليات التغيير في ظواهر الوجود دون وجود قدرة مطلقة هي التي تُحدث هذا التغيير، فإذا كان تمام خلق الإنسان وكمال عقله دليل إثبات وجود الصانع ﷻ الذي لا يشبه أحداً من خلقه، لقوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[٥]، فنفي تمام الصنعة فيه بغير مدبِّرٍ لها أثبتُ، يقول الإمام الغزالي[٦]: " اعلم أن الباري ﷻ شرَّف هذا الآدمي، وكرَّمه فقال ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[٧]، فكان من أعظم ما شرَّفه به وكرَّمه (العقل) الذي تنبَّه به على البهجة، وألحقه بسببه بعالم الملائكة، حتى تأهَّل به لمعرفة بارئهِ

---

(١) تفسير التحرير والتنوير للإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية (تونس) ط١ ١٩٨٤م، ج١، ص٣٧٥.
(٢) مريم، الآية (٩).
(٣) الإنسان، الآية (١).
(٤) فاطر، الآية (١٥).
(٥) الشورى، الآية (١١).
(٦) هو الإمام محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي أبو حامد الغزالي الإمام الجليل حجة الإسلام، ولد بطوس سنة ٤٥٠هـ، وكان رحمه الله إمام أهل زمانه، وفارس ميدانه، من تصانيفه «كتاب مقاصد الفاسفة» و «كتاب تهافت الفلاسفة» و «كتاب إحياء علوم الدين» ، وكانت وفاته بطوس سنة ٥٠٥هـ . أنظر: اللباب في تهذيب الأنساب، لابن الأثير الجزري، مكتبة المثنى (بغداد) د ت ، ج٢ ص٣٧٩.
(٧) الإسراء الآية (٧٠).

ومبدعه بالنظر في مخلوقاته، واستدلاله على مخلوقاته، واستدلاله على معرفة صفاته، بما أودعه في نفسه من حكمةً وأمانة، قال تعالى ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾[١]؟.

فكان نظر الإنسان في نفسه، وفيما أودع الباريء سبحانه فيه من العقل ــ الذي يقطع بوجوده فيه، ويعجز عن وصفه –من أعظم الدلالات عنده على وجود بارئه ومدبره وخالقه ومصوره " [٢]، فبنعمة (العقل) الذي يعجز الإنسان عن وصفه وهو جزء من حقيقة وجوده، يدرك أن الذي منحه نعمة الوجود من العدم ودبَّر خلقه هو الله تعالى.

فإن قال قائلٌ: لماذا لا نفترض أن تكون هذه التغييرات التي تلحق الإنسان في مراحل تكوينه إنما تحدث فقط وفق قوانين تطور المادة في الطبيعة، دون افتراض عامل القدرة الإلهية في الخلق والتدبير؟.

نقول له: إن مفاد الكلام الوارد هنا عن تطور مراحل خلق الإنسان وتغيرات ملامحه البيولوجية خلال مراحله العمرية كما جاء في القرآن الكريم يفيد بأن القرآن قد سبق القائلين بنظرية التطور في جانبها المعقول في القول بتطور خلق الإنسان، وأوجز الآيات القرآنية الكريمة توضيحاً لذلك قوله تعالى حكاية عن نبي الله نوح عليه السلام من قومه: ﴿مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ١٣ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ١٤﴾[٣].

وتجنباً للدخول في تفاصيل نظرية التطور الغربية لعدم الحاجة إليه هنا نطرح تساؤلاً هاماً ومفصلياً، وهو: لماذا تشبَّث القائلون بالتطور بتقدم خلايا الكائنات الحية نحو التغيير في خط متصاعدٍ، دون يأتوا بأفكار علمية مناهضةً للحقيقة القرآنية حول خلق الإنسان، تفيد إمكانية رجوع هذه الخلايا عن أحد مظاهر تقدمها نحو التغيير فقط في خط تصاعدي؟ أو أن يُظهروا

---

(٨) الذاريات، الآية (٢١).
(١) الحكمة في مخلوقات الله للإمام أبي حامد الغزالي ، تحقيق: محمد رشيد قباني، دار إحياء العلوم (بيروت) ،ط١ ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ص٦٦.
(٢) نوح، الآيتان (١٣،١٤).

ملامح هذا الرجوع على أنفسهم، كمحاولة رجوعهم عن مرحلة الشيخوخة مثلاً إلى مرحلة الشباب؟.

والجواب: هو أنهم يعجزون عن ذلك، وكانت هذه هي المحاجة التي وقف عندها الإمام الأشعري مع هؤلاء حين قال: " وقد علمنا أنه [أي الإنسان] لم ينقل نفسه من حال الشباب إلى حال الكبر والهرم؛ لأن الإنسان لو جهد أن يزيل عن نفسه الكبر والهرم ويردها إلى حال الشباب لم يمكنه ذلك، فدل ما وصفنا على أنه ليس هو الذي ينقل نفسه في هذه الأحوال، وأن له ناقلاً نقله من حال إلى حال ودبره على ما هو عليه "[١].

<u>وهنا يمكن أن ندرك الحكمة الدعوية من أمرين واردين في القرآن الكريم:</u>

<u>أولهما</u>: تعدد الآيات البينات الدالة على قدرة الله تعالى على إحياء الموتى، كحديث البقرة في بني إسرائيل الوارد في سورة البقرة، في قوله تعالى حكاية عن نبي الله موسى عليه السلام ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾[٢]، وكذلك بيان القرآن الكريم لحال الرجل الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها، متساءلاً: كيف يحي الله موتى هذه القرية؟، فأخضعه الله تعالى بعد إماتته مائة عام لعوامل الزمن مع قبض الزمن عن طعامه وشرابه، حتى أصبح عظاماً نخرة ثم بعثه من الموت، فقال تعالى: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[٣]، هذا في الوقت الذي أبقى فيه الحق سبحانه وتعالى فتية الكهف على حالة الشيخوخة المرعبة التي أصابتهم بعد أن مرَّ عليهم في الكهف ثلاثمائة من السنين وازدادوا تسعاً، فقال تعالى﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾[٤].

---

(٣) اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، ص١٨.
(١) البقرة، الآية (٦٧).
(٢) البقرة، الآية (٢٥٩).
(٣) الكهف، الآية (١٨).

فهذه الآيات الكريمة تشير إلى أن الله ﷻ قد بيَّن لخلقه في الدنيا كيف أنه ﷻ قادرٌ على أن يعود بالخلق من الموت إلى الحياة، ومن العدم إلى الوجود، بينما لا يملك القائلون بالتطور أي مدخل علمي للقول برجوع الخلية الحية من الشيخوخة إلى الشباب.

ثانيهما: ربطُ القرآن الكريم الإيمان بما جاء فيه عن المصير الأخروي بمعرفة الحقيقة عن بداية النشأة، قال تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴾ (١)،

إن الدراسات العلمية للشيخوخة وطول العمر وصلت إلى أن أعراض الشيخوخة والموت هما النتيجة الحتمية لخلايا الإنسان الحية فيه وفي غيره من الكائنات الحية (٢)، ولذلك لما رسم (بول جوجان) أحد فناني الرسم الفرنسيين(٣) المؤمنين بتطور الإنسان عن القردة لوحةً تشعره بأنه قد حصل على إجابة تساؤلاته حول أصل وجوده: من أين جاء؟، وكيف جاء في هذا العالم؟، اصطدم بالسؤال الأهم الذي لم يجد له إجابة في لوحته تلك، وهو إلى أين مصيره بعد الموت؟ ومن ثمَّ قام بالانتحار تعجلاً منه لمعرفة الإجابة(٤).

فسبحان الله العظيم القائل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ﴾، فالإيمان بما جاء في القرآن الكريم في معرفة نهاية الوجود الدنيوي مرتبطٌ بالإيمان بما جاء فيه عن بداية النشأة، ولن يُعطي الإجابة للإنسان عن تساؤلاته حول أصل وجوده في الدنيا، ومعرفة مصيره

---

(٤) الحج، الآية (٥).

(١) للمزيد أنظر: حياتنا وإن طالت ..علم دراسة طول العمر والشيخوخة، تأليف: جوناثان سيلفرتاون، ترجمة: سحر توفيق، سلسلة عالم المعرفة (المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت) عدد (٤٣٨) يوليو ٢٠١٦م ، ص٤١ وما بعدها.

(٢) للمزيد أنظر: الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة (الرياض) ط٢ ١٩٩٩م، ٥٨١/٨.

(٣) عالم يفيض بسكانه، تأليف: سير روي كالن، ترجمة: ليلى الجبالي، سلسلة عالم المعرفة (المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت) عدد (٢١٣) سبتمبر ١٩٩٦م ص٧٧ بتصرف.

الأخروي سوى الله ﷻ. قال تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ (١)، وقال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (٢).

(ب) خلق (النطفة) في القرآن الكريم بين ثلاثية الطين والموت والحياة.

إنه جَحْداً للحقيقة القرآنية اليقينية المقررةُ لوجود الإنسان من عدم، ظهر قول منكري وجود الله تعالى، وإثبات قدرته ﷻ على الخلق، وكان مرتكز هؤلاء في هذا الإنكار، هو ادعاء أزلية المادة؛ حيث اعتبارها شريكة لله ـــــ والعياذ بالله ـــــ في الأزلية، ومن ثم فلا يسبق وجودها عدم، وليست حياتها سراً من أسراره ـــــ سبحانه ـــــ الذي لم يُطلع عليه خلقه.

فمادة الوجود في تصور هؤلاء الماديين لم تكن حادثة، بل أزلية، وعليه فهي فلم تكن بحاجة إلى واهب الحياة لها ـــــ تعالى الله عما يقول هؤلاء علواً كبيرا ـــــ ، فقوانين (المادة) ووجودها الأزلي ـــــ في زعم هؤلاء الماديين ـــــ هي فقط من تتحكم في ظاهرة وجود المخلوقات وما يطرأ عليها من تغييرات بيولوجية وغير ذلك.

لكن ومع بطلان هذا الادعاء بحكم العقل، " فإن العلم في القرن العشرين أبطل دعوى أزلية المادة بإثبات وجود عنصر يسبق المادة في الوجود، وهو ليس من جنسها، هذا فضلا عن أن المادة ناشئة عنه، وهو ما اصطلح علماء الفيزياء الغربيين على تسميته بـــ (الطاقة الكهرومغناطسية) " (٣) ، وقد قصد الإمام الأشعري في القرن الرابع الهجري بيان بطلان دعوى أزلية (المادة) متخذاً من خلق (النطفة) لذلك سبيلاً، فقال لهؤلاء الماديين متساءلا: " فما يؤمنكم أن تكون (النطفة) لم تزل قديمة؟ ...." (٤).

وهنا يُطرح تساؤلين، وهما:

١. ما هي الأهمية الدعوية لحديث القرآن الكريم عن خلق (النطفة) في إبطال دعوى الماديين بأزلية (المادة) ؟.

---

(٤) النجم، الآية (٣٢).

(٥) الملك، الآية (١٤).

(١) يُنظر: تكوين العقل الحديث، تأليف: جون هرمان راندال، ترجمة: جورج طعمه، دار الثقافة (بيروت) د ت ج٢ ص١٢٦.

(٢) اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، ص١٩.

٢. كيف تواجه آيات القرآن الكريم عن مراحل خلق الإنسان دعوة الماديين إلى تفكيك ثنائية الروح والمادة في خلق الإنسان؟.

والإجابة عن هذين التساؤلين تساق من خلال بيان أهم الملامح الدعوية المستفادة من الكلام عن الشاهد الحسي وهو (النطفة) في ضوء المحاور الآتية:

١. الإعجاز العلمي في القرآن عن خلق (النطفة) وأثره في إبطال دعوى أزلية (المادة).

٢. آيات القرآن الكريم عن خلق الإنسان من (النطفة) ودورها في مواجهة تفكيك الماديين لمركزية الإنسان في الكون.

(١) خلق (النطفة) بين القرآن الكريم والدرسات العلمية الحديثة

إنه بتقدم الدراسات العلمية منذ القرن الثامن عشر الميلادي، ظهر في دراسة علوم القرآن الكريم مفهومي الآيات الكونية والآيات الإنسانية؛ وذلك لأنها مفاهيم أضافت لوناً جديداً في المعارف التي مصدرها الوحي الإسلامي من القرآن والسنَّة، وهو اللون الذي تم التعبير عنه بمفهوم (الإعجاز العلمي)، وهو مفهوم يفرض بمعناه الدلالي المتسق مع الاشتقاقات اللغوية والاصطلاحية لكلمة (عَجَزَ) شعوراً بالعجز الناجم عن الإحساس بالتأخر في إدراك جزء من الحقائق التي أشار إليها القرآن الكريم منذ ما يزيد عن أربعة عشر قرن من الزمان، ومن هذا المنطلق ظهر مفهوم الإعجاز العلمي للقرآن الكريم.

إن مفهوم الإعجاز العلمي في الفكر الإسلامي مركب من كلمتين هما : معجزة وعلم، والمعجزة في اللغة من عجز : " والعَجْزُ : الضَعْفُ ، تقول: عَجِزْتُ عن الشيء : ... ولا يُقال عَجِزَ الرجُلُ إلا إذا عَظُمَت عَجِيزَتُهُ . وأَعْجَزْتُ فلانا إذا وجدته عاجزاً . وأعجزني إذا وجدني عاجزاً عن طلبه " [(١)] ، و يُقال: " عاجزٌ إذا سبق فلم يُدرَك . وإنه ليعاجز إلى ثقة " [(١)].

---

(١) مجمل اللغة لأبي الحسين أحمد ابن فارس، تحقيق: زهير عبدالمحسن سلطان مؤسسة الرسالة (بيروت) ط٢ ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، مادة (عجز) باب العين والجيم وما يثلثهما، ص ٦٤٨.

وهذا يعني أن الإعجاز في اللغة معناه : تحقق العجز نتيجة السبق بين طرفين يعجز أحدهما عن اللحاق بالآخر لعجزه في طلبه أو الإتيان بمثل ما آتى فيما يكون محل ثقة لا مجال لإنكار وقوعه.

وهذا المعنى اللغوي للإعجاز هو ما انعكس في معنى المعجزة اصطلاحاً، حيث تُعرف بأنها : " أمر خارق للعادة ، مقرون بالتحدي ، ودعوى النبوة ، مع تعذر المعارضة ، يُظهره الله على أيدي رسله تأييداً لنبواتهم وإثباتاً لصدق رسالاتهم " (٢).

وبإضافة المعنى اللغوي لكلمة (عجز) إلى المعنى الاصطلاحي للمعجزة يتبيَّن كيف أن القرآن الكريم ، وهو معجزة الإسلام الكبرى ، قد حقق العجز عند معارضيه، بسبقه الإشارة إلى حقائق علمية (إنسانية وكونية) عجز الإنسان عن اللحاق في طلبها حتى مرت به قرون من الزمان، أو الإحاطة بشيء من كنهها حتى تمكّن من إدراك شيء من معانيها بعدما تطورت إمكاناته العلمية، وهنا يتحقق قول الله تعالى ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ (٣).

ويعد خلق (النطفة) من أهم النماذج الدالة على هذا الإعجاز القرآني، فهي حقيقة ساقها القرآن الكريم بأسلوب بلاغي معجز منقطع النظير للعقل البشري، وذلك؛ لأن القرآن لم يَضِّن ببيان أمرها على البشر لحين قطْعهم شوطاً في تقدم العلوم التشريحية، بل تناولها في ضوء ما تتقاربه أفهام العقل البشري حول هذه الحقيقة الواقعة، وهو ما جعل منها (ظاهرة) علمية باتت في العلم الحديث محل ثقة لا مجال لإنكار ربانيتها، ويمكن توضيح ذلك من خلال الآتي:

أ. موقف القرآن الكريم من خلق (النطفة) وعلاقتها بالطين والحياة.

لقد جاءت كلمة (النطفة) متكررة في القرآن الكريم في مواضع عدة، وفي سياقات متنوعة، لتبدو من خلالها متشابكة في أربعة محاور تؤدي فيها هذه اللفظة غرضاً قرآنياً في كل محور منها، وفي اجتماعها وافتراقها مقاصدها الدعوية، وبيان ذلك على النحو الآتي:

---

(٢) أساس البلاغة للزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية (بيروت) ط١ ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م ، مادة (عجز) باب العين، ج١ ص٦٣٥.

(٣) المعجم الفلسفي ، د. جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني ١٩٨٢م، ج٢ ص٣٩١.

(٤) النمل ، الآية (٩٣).

١. **(النطفة) مرحلة خِلْقية تلي مرحلة الخلْق من (الطين) من ذلك:**

– **قوله تعالى:** ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ (١).

– **وقوله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ (٢).

– **وقوله تعالى:** ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ (٣).

٢. **(النطفة) محور القرآن الكريم في محاجة الإنسان الخصيم لخالقه ﷻ، من ذلك:**

– **قوله تعالى:** ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ (٤).

– **وقوله تعالى:** ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾﴾ (٥).

– **وقوله تعالى:** ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ (٦).

٣. **وصف القرآن الكريم (النطفة) بالأمشاج، قال تعالى:** ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ (٧).

٤. **النطفة وعلاقتها بخلق الزوجين.**

– **قال تعالى:** ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ (٨).

– **قال تعالى:** ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ (٩).

▪ **الحكم الدعوية في الترابط الدلالي بين هذه الآيات الكريمة في ضوء العلم:**

---

(١) الكهف، الآية (٣٧).
(٢) الحج، الآية (٥).
(٣) المؤمنون، الآيتان(١٣، ١٤).
(٤) يس، الآية (٧٧).
(٥) القيامة، الآية (٣٧).
(٦) عبس، الآيات (١٧:١٩).
(٧) الإنسان، الآية (٢).
(٨) فاطر، الآية (١١).
(٩) النجم، الآية (٤٦).

إن الآيات القرآنية التي وردت فيها لفظة (النطفة) مجتمعةً في المحاور الثلاث الأول دون محور (خلق الزوجين) إنما كان ذلك لحكم دعويةٍ، منها الآتي:

١. تذكير الإنسان بأن أصل خلقته وابتداء تكوينه بشراً إنما كان من التراب والطين مروراً بمرحلة (النطفة) حتى صار إنساناً في أحسن تقويم من الخِلقة، مصداقاً لقوله ﷺ: "كلكم لآدم وآدم من تراب" [١].

٢. أن (النطفة) هي الرابط الحقيقي بين مرحلة الطين ومرحلة منح الإنسان نعمة الوجود ككائن بشري سوي، فإذا كان الإنسان جاحداً ويسيطر عليه الفكر المادي الذي على أساسه يستبعد فكرة (التراب والطين) عن عقله كمراحل أساسية في تكوينه الخلقي؛ إذ إنه في إطار محدودية تفكيره المادي للخلق لن يرى رحم امرأة يحمل بدأً جنيناً من التراب والطين، فإن مرحلة تكوينه من (النطفة)، وهي المرحلة القابلة للحس والمشاهدة، تأتي لتؤكد أن الطين عامل أساسيٌ في خلقه بشراً، وهو ما يفسر ورود (النطفة) في مواطن محاجة القرآن الكريم للإنسان الخصيم لربه ﷻ، والجاحد لقدرة خالقه ﷻ ، من ذلك قوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ .

إن (النطفة) هي المرحلة الخِلْقية الأولى في تكوين الإنسان بعد التراب والطين، وهي التي وصفها القرآن الكريم بالنطفة الأمشاج في قوله تعالى ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾، وفي سياق ما طرحته الدراسات العلمية الحديثة عن خلق الإنسان، فإن " النطفة الأمشاج: هي النطفة المختلطة من الحيوان المنوي الذي يلقح بويضة الأنثى (أي البويضة الملقحة) " [٢]، والنطفة الأمشاج تعلن اصطفاء واختيار حيوان منوي واحد للحياة والوجود من بين ملايين الحيوانات المنوية التي قُدِّر لها الموت والعدم عند تدفقها من ماء الرجل عند الجماع، أي: ﴿مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ﴾، " فالدفقة الواحدة من المني تحمل مائتي مليون حيوان منوي، والذي يلقح البويضة هو حيوان منوي واحد فقط "[٣].

---

(١) رواه أبو داود في سننه، ك/ الأدب ، ب / في التفاخر بالأحساب، ١١١/٤٠ حديث رقم (٥١١٦). طبعة بيت الأفكار الدولية (الرياض) د ت، ص٥٥٢.

(٢) خلق الإنسان بين الطب والقرآن، د. محمد علي البار، الدار السعودية للنشر (الرياض) ط٤ ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص١٠٩.

(٣) المصدر نفسه، ص١١١.

كما يتم أيضاً اصطفاء واختيار بويضةٍ واحدةٍ للتلقيح بهذا الحيوان المنوي وتقدير الحياة لها من بين الكثير من بويضات الأنثى ، " فكما يتم اختيار واصطفاء الحيوان المنوي، كذلك يتم اختيار واصطفاء البويضة "[١]، فالنطفة الأمشاج مزيج من الاثنين معاً (ماء الرجل وماء المرأة)، ومن هنا جاءت دعوة القرآن الكريم للإنسان للنظر في أمر خلقه، قال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾ [٢].

وعن التعبير عن المشيئة والقدرة الإلهية في اصطفاء (النطفة الأمشاج) المكونة من ماء الرجل وماء المرأة، وتقدير الحياة لها عن العدم (الموت) عن مثيلتها من خلال استلالها من بين سلالات ماء الطرفين بالاستقرار في قرار مكين يقول الله تعالى ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ [٣].

فصدق الله العظيم القائل في محكم آياته: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ﴾ [٤]، فالإنسان بإرادة الله العلي العظيم نطفة مستلة من بين سلالات كثيرة رجح الله ﷻ لها الوجود عن العدم، وصدق رسول الله ﷺ القائل في حديثه الكريم : " ما من كل الماء يكون الولد، وإذا أراد الله خلق شيء لم يمنعه شيء"[٥]. وهكذا تبيَّن تناسق العلم الحديث مع ما جاء به الوحي الإسلامي (القرآن والسنَّة) حول خلق الإنسان، بدأً من حديثه عن خلق آدم عليه السلام من تراب وطين، وحتى خلق (أي استلال) نسله (ذريته) تباعاً إلى قيام الساعة من ماء مهين.

قال الطاهر ابن عاشور: " فتكون السلالة الطينَةَ الخاصةَ التي كوّن الله منها آدم وهي الصلصال الذي ميزه من الطين في مبدإ الخليقة، فتلك الطينة مسْلولة سلاً خاصاً من الطين ليتكوَّن منها حيٌّ، وعليه فضمير ﴿جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً﴾ على هذا الوجه عائد إلى الإنسان باعتبار كونه نسلا لآدم فيكون في

---

(١) نفس المصدر السابق، ص١١٢.
(٢) الطارق، الآيات (٥:٧).
(٣) المؤمنون، الآية (١٣).
(٤) السجدة، الآيتان (٧،٨).
(٥) رواه الإمام مسلم، ك/ النكاح، ب/ حكم العزل، ٢٢/١٦ حديث رقم (١٣٣). صحيح مسلم بشرح القاضي عياض ، تحقيق د: يحيى اسماعيل، دار الوفاء (القاهرة) ط١ ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م ، ج٤ ص٦١٨.

الضمير استخدام، ويكون معنى هذه الآية كمعنى قوله تعالى ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ " (١).

أ. **العلاقة بين الطين والنطفة في ضوء الدراسات العلمية الحديثة**:

السؤال الذي يطرح نفسه هنا: كيف تكون (النطفة) الرابط الحقيقي بين الطين وتكوين الخلايا الأخرى الموسومة بالعلقة ثم المضغة ثم تكوين العظام ، ثم مرحلة التكوين الخلقي التام للإنسان؟.

إن الآية الكريمة في قول الله تعالى: ﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ (٢) إنما تمثل القاعدة الهرمية

في حديث القرآن الكريم عن مراحل خلق الإنسان، وذلك لأنها بيَّنت مراحل خلق الإنسان في صورة إعجازية في ضوء الاكتشافات العلمية، لم يسبق أن أدركها عقل بشري بعيداً عن الوحي كما هو حاصل مع نبي الله نوح عليه السلام، وهو ما يؤكد أن خطاب الوحي الإلهي على مرِّ العصور ورسالات الأنبياء والمرسلين خطاب عقلانيٌ، منافياً لخطاب الجهل الذي يفرضه الكفر والشرك، إذ أن أسمى درجات العلم هي حصول الإيمان بالله تعالى، تلك المرتبة التي يحول الكفر دون وصول الإنسان إليها مهما بلغ تقدمه في العلم.

فقد اكتشف علماء الأجنة في القرن الثامن عشر أن خلق الإنسان مر بأطوار، وأولى هذه الأطوار هو (الطين)، وذلك لأن الخلية التي تكَّون منها الإنسان هي في الأصل خلية تحتوى على عناصر كيميائية مستلة من سلالة العناصر الكيميائية الموجودة في (التراب والطين) وصدق الله العظيم القائل في كتابه الكريم:﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾(٣) ، " فقد أثبت العلم الحديث أن العناصر التي يتركب منها الجسم البشري هي نفسها عناصر تتركب منها القشرة الأرضية، فبينما تتركب القشرة الأرضية من ١٠٠عنصر كيميائي يوجد في تركيب الإنسان منها ٢٢ عنصراً:

- **الأوكسجين والهيدروجين وهما يكونان الماء الذي يؤلف ٧٠% من جسم الإنسان.**

---

(٦) التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج١٨ ص٢٣.
(١) نوح، الآية (١٤).
(٢) المؤمنون، الآية (١٣).

- الكربون والهيدروجين والأوكسجين وتتكون منها السكريات والبروتين والدهون والفيتامينات والهرمون والخمائر.
- المعادن مثل الكالسيوم والبوتاسيوم والصوديوم والكلور والماغنسيوم والفسفور والكبريت والحديد واليود والنحاس والزنك والمنجنيز والكوبالت وغيرها " [١].

ب. العلاقة القهرية بين الحياة والموت في ضوء حديث القرآن عن (النطفة).

إنه مما يقع في إطار الحس والمشاهدة للبشر في الدنيا أن المخلوقات عندما تفارقها أرواحها وتموت تبلى أجسادها وتتحلل لتعود عناصرها المادية التي تكونت منها - كما أثبت العلم الحديث - إلى مصدرها الأساسي، وهي الأرض؛ فعودة هذه المخلوقات بعد موتها إلى الأرض هي النتيجة الحتمية لعلاقتها المادية بها في عملية النشأة والتكوين، قال تعالى ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [٢]، بينما تُقبض الروح، لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [٣]، فتصعد روح المؤمن إلى عالم الملكوت الذي لا يعلمه إلا الله - تعالى - لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۝٢٩ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ۝٣٠﴾ [٤]، ولقول النبي ﷺ: ﴿ إذا احتضر المؤمن أتته الملائكة بحريرة بيضاء فيقولون: اخرجي أيتها الروح الطيبة راضية مرضياً عنك إلى روح وريحان ورب غير غضبان، فتخرج كأطيب من ريح المسك ... ﴾ ، وتبقى روح الكافر في الأرض لقوله ﷺ في ذات الحديث: ﴿ وإن الكافر إذا احتضر أتته ملائكة العذاب بمسح، فيقولون: اخرجي مسخوطاً عليك إلى عذاب الله، فتخرج كأنتن ريح جيفةٍ حتى يأتوا به باب الأرض فيقولون فما أنتن هذه الروح حتى يأتوا به أرواح الكفار ﴾ [٥].

---

(٣) الموسوعة العلمية في الإعجاز القرآني، د: سمير عبدالحليم، مكتبة الأحباب (دمشق) ط١ ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م ص٦٨.

(١) طه، الآية (٥٥).

(٢) الزمر، الآية (٤٢).

(٣) الفجر، الآيات (٢٧:٣٠).

(٤) رواه النسائي في سننه، ك/ الجنائز، ب/ ما يُلقى به المؤمن من الكرامة عند خروج نفسه، ٩/٣، حديث رقم ١٩٧٢،ج٢ص٣٨٣، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة (بيروت) ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

وفي إطار هذه العلاقة الحتمية بين خلق الإنسان والأرض أشار القرآن الكريم إلى العلاقة القهرية بين الحياة والموت والبعث كذلك، تلك العوارض التي تحدث للمخلوقات على الأرض حتى البعث يوم الحشر، فالآيات الكريمة بيَّنت تكاملية عناصر الوجود التي خُلق منها الإنسان أول مرة، إضافة إلى دلالة هذه النشأة الأولى في الخلق على البعث بعد الموت، ثم دلالة الجميع على كمال قدرة الله تعالى في خلقه، قال تعالى ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ۝٢﴾ (١).

قال الطاهر ابن عاشور: " وأوثر ذكر الموت والحياة لما يدلان عليه من العبرة بتداول العَرَضين المتضاديْن على معروض واحد، وللدلالة على كمال صنع الصانع، فالموت والحياة عرضان يعرضان للموجود من الحيوان، والموتُ يُعِد الموجود للفناء، والحياة تُعِد الموجود للعمل للبقاء مدة، وهما عند المتكلمين من الأعراض المختصة بالحي " (٢).

وقد تبيَّن أن مرحلة خلق الإنسان من (النطفة) هي نقطة تحول وجوده من عدم التراب والطين إلى خليةٍ حيةٍ، ذلك الشيء المحسوس الذي لا يدع مجالاً للماديين لإنكار أسبقية العدم في مراحل وجود الإنسان، وأن مانح الروح والحياة فيه هو الله تعالى، وإلا فكيف صار إنساناً عاقلاً، يسمع ويبصر، وهو الأمر الذي يفسر سبب تعدد مواطن ذكر (النطفة) في جميع الآيات القرآنية المتعلقة ببيان مراحل خلق الإنسان – كما تبين آنفاً – . فهي حقيقة ساقها القرآن الكريم بأسلوب بلاغي معجز منقطع النظير للعقل البشري، وذلك؛ لأن القرآن الكريم لم يضنَّ ببيان أمرها على البشر لحين قطعهم شوطاً في تقدم العلوم التشريحية، بل تناول الحديث عنها بما تتقاربه الأفهام في ضوء دلالات اللسان العربي الذي نزل به وحي القرآن الكريم، بل إن شئت فقل، في ضوء ما تتقاربه أفهام عقل البشري حول هذه الحقيقة الواقعة، وهو ما يتضح من المحاورة التي دارت بين الرجل صاحب الجنتين وصاحبه، ذلك الرجل الذي دفعه كثرة ماله إلى الكفر بخالقه ﷻ فيما حكاه عنه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ

(٥) الملك، الآيتان (١،٢).
(١) تفسير التحرير والتنوير، ج٢٩،ص١٢.

نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾ (١).

فرد عليه صاحبه مقرراً له الحقيقة الواقعة التي لا إنكار فيها أنه مخلوق من عدم افتقرت نعمة الحياة فيه وكينونته إنساناً إلى الخالق ﷻ، ومن ثمَّ قال له ما حكاه عنه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ (٢).

إذاً كلمة (النطفة) كمرحلة من مراحل خلق الإنسان قد اكتسبت دلالتها في اللسان العربي من خلال الواقع، قبل نزول وحي القرآن الكريم، ولذلك كان حديث القرآن الكريم عنها حجة على الملحدين ومنكري البعث من المشركين وقت نزول القرآن – ولا زال – ، فالنطفة مرحلة خِلقية بيَّن القرآن الكريم أن الله ﷻ جعلها تخضع بمتغيراتها المتقلبة في الرحم للحس والمشاهدة، لاستنباط الاستدلالات العقلية التي لا تدع مجالاً للإنسان لجحد حقيقة أن العدم والفناء مرحلتان محصورة بينهما مرحلة الحياة فيه في الدنيا، وهذه المراحل الثلاث جاءت مرتبة على هذا النحو، أي عدمٌ ثم وجود، ثم عدم في قوله تعالى ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ (٣) **. ثم تأتي المرحلة الرابعة التالية، وهي البعث بعد الموت في ذات الآية الكريمة في قوله تعالى** ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٤)**. وقال تعالى – حكاية عن الكفار وهم في النار – :** ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ (٥) .

جاء في محاسن التأويل للقاسمي(٦): " ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ **أي أنشأتنا أمواتا مرتين. وأحييتنا في النشأتين كما قال تعالى** ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا

---

(٢) الكهف، الآيات (٣٤،٣٦).
(٣) الكهف، الآية (٣٧).
(١) البقرة، الآية (٢٨).
(٢) البقرة، الآية (٢٨).
(٣) غافر، الآية (١١).
(٤) جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، إمام الشام في عصره، علما بالدين، وتضلعا من فنون الأدب، مولده ووفاته في دمشق، كان سلفي المذهب، ولا يقول بالتقليد، له العديد من المصنفات، منها : (دلائل التوحيد)، و (ديوان خطب) و (موعظة المؤمنين) اختصر به إحياء علوم الدين للغزالي، أنظر: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، لعبدالرزاق البيطار، تحقيق: محمد بهجة البيطار، دار صادر (بيروت) ط٢

﴿فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ : كانوا أمواتاً في أصلاب آبائهم، فأحياهم الله في الدنيا . ثم أماتهم الموتة التي لابد منها، ثم أحياهم للبعث يوم القيامة . فهما حياتان وموتتان " [١].

إذاً توضح هذه الآيات الكريمة وغيرها العلاقة القهرية بين الموت والحياة في خلق الإنسان وجميع المخلوقات على الأرض، وأنه ما دام الفناء هو النتيجة الحتمية لوجود المخلوقات على الأرض فإن وجودها من عدم هو البداية الحقيقة لها، والنشأة الأولى دليل وقوع النشأة الثانية عند البعث، وهو ما يتم فهمه في سياق الآيات الكريمة التي جعلت مرحلة الحياة وسطاً بين مرحلتين من الموت، وكانت مرحلة الخلق من (النطفة) هي نقطة التحول المشهود في إقرار هذه الحقائق، وعليه يظهر وجه محاَّجة الإمام الأشعري بـــ (النطفة) على الماديين في إبطال دعواهم بأزلية المادة، وإثبات أن خالق الكون والإنسان هو الله ــ تعالى ــ . سبحانه ﷻ.

ب. آيات القرآن الكريم عن خلق الإنسان من (النطفة) ودورها في مواجهة تفكيك الماديين لمركزية الإنسان في الكون.

ج. <u>إبطال دعوى الماديين بأن (المادة) هي المصدر (الواحد) في خلق المخلوقات</u>

إنه لا زال يتصل ماضي الماديين بالحاضر، وانطلاقاً من تمسكهم الشديد بادعاء أزلية المادة، وإيمانهم فقط بوجود المادة في الوجود وجوداً أزلياً، فقد أخذ ادعائهم هذا صورته الأبرز في أن الإنسان مجرد مخلوق متطور في الكم والدرجة عمن سبقه في الوجود من الكائنات الحية الأقرب إليه في الشبه وهم القردة ــ كما سبقت الإشارة ــ ، وقد زادت وتيرة هذا الادعاء من قبل الماديين في الفكر المعاصر؛ حيث القول بأنه لا يوجد في الكون ثنائيات قط، كثنائية عالم الغيب وعالم الشهادة، وثنائية الروح والجسد ... وهكذا.

فمرجعية وجود المخلوقات عند الماديين هي (المادة) فقط، وهذا التصور المادي المزعوم حول أصل الوجود أطلق عليه د.عبدالوهاب المسيري: بـــ (المرجعية الواحدية المادية)؛ حيث يُنظر للعالم باعتبار أنه يحوي داخله ما

١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ج١ ص٤٣٥. وانظر: الأعلام للزركلي، مصدر سابق ج٢ ص١٣٥.

(٥) تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار أحياء الكتب العربي (عيسى البابي الحلبي وشركاه) ط١ ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م، ج١٤ ص٥١٥٨.

يكفي لتفسيره دون حاجة إلى اللجوء إلى أي شيء خارج النظام الطبيعي. ولذا، لابد أن تسيطر الواحدية على كل شيء، وإن ظهرت ثنائيات فهي مؤقتة يتم تصفيتها في نهاية الأمر ، ففي إطار هذه المرجعية المادية لا يوجد سوى جوهر واحد في الكون، وهي (المادة) ذلك الموجود الواحد الذي يتكون منه كل شيء [١].

إذاً فإله الماديين الواحد ــ والعياذ بالله ــ هي المادة، ولإثبات ادعاء واحدية المادة كمرجعية لوجود المخلوقات، سحب هؤلاء الماديون نظرتهم الواحدية المادية هذه في كل شيء في الوجود، فلا يوجد في الكون ثنائيات متكاملة، كثنائية الزوجين (الذكر والأنثى)، إذ لا فارق بينهما؛ لأن وجودهما من مصدر واحد يتساويان فيه، وهو (المادة)، " وسيفضي كل هذا بالإنسانية إلى عالم مفكك لا مركز له، ويتحول العالم إلى كيان شامل واحد، تتساوى تماماً فيه كل الأطراف بالمركز، عالم لا يوجد فيه قمة أو قاع، أو يمين أو يسار ، * أو ذكر أو أنثى*، وإنما يأخذ شكلاً مسطحاً تقف فيه جميع الكائنات الإنسانية على نفس السطح وتصفى فيه كل الثنائيات" [٢].

وهذا الأمر مخالفٌ للحقيقة الكونية المشهودة في كثير من مخلوقات الله ــ تعالى ــ ؛ لأنه ﷻ هو الواحد في الحقيقة، وقد جعل ﷻ دليل وحدانيته، وكمال قدرته أنه خلق من كل شيء زوجين اثنين، متفقين أو مختلفين، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [٣]، وقال تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [٤].

---

(١) الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، د: عبدالوهاب المسيري، دار الفكر (دمشق) ط٤ ١٤٣١هـ/٢٠١٠م ص٣٧.

(٢) قضية المرأة بين التحرير والتمركز حول الأنثى (٥)، د: عبدالوهاب المسيري، مجلة الأزهر، شعبان ١٤٣٦هـ/يونيو٢٠١٥م ، الجزء (٨) السنة (٨٨) ص١٧٧٤.

(١) يس، الآية (٣٦).

(٢) الذاريات، (٤٩).

قال ابن جرير الطبري[١] في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ : " هو أن الله تبارك وتعالى خلَق لكلِّ ما خلَق مِن خَلْقِه ثانياً له مخالفًا في معناه، فكلٌّ واحدٍ منهما زوجٌ للآخرِ، ولذلك قيل: ﴿ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾ . وإنما نبَّه جلَّ ثناؤُه بذلك مَن خلَقه على قُدرتِه على خَلْق ما يشاءُ خَلْقَه من شيءٍ، وأنه ليس كالأشياء التي شأنُها فعلُ نوعٍ واحدٍ دونَ خلافِه، إذ كلُ ما صفتُه فعلُ نوعٍ واحدٍ دونَ ما عداه، كالنارِ التي شأنُها التسخينُ ولا تصلحُ للتبريدِ، وكالثلج الذي شأنُه التبريدُ ولا يصلحُ للتسخين – فلا يجوزُ أن يوصفَ بالكمال، وإنما كمالُ المدحِ للقادر على فعلِ كلِّ ما يشاءُ فِعْلَه من الأشياءِ المتفقةِ والمختلفةِ "[٢].

إن خلق زوجين من كل شيء في الكون كما جاء في القرآن الكريم هي الحقيقة التي أثبتها العلم في أشياءٍ يعلمها البشر ، ومما لا يعلمونه، " فهناك أزواج مما تنبت الأرض: النخيل له نوعان من الأشجار مذكرة ومؤنثة، والتين كذلك، وهناك أشجار فيها تذكير وتأنيث في زهرها كالتفاح والمشمش وغير ذلك، وأزواج مما خلق من رجال ونساء، وقوله تعالى ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أي هناك أشياء فيها زوجية لم يكن يعلمها أحد مثل ما في نواة الذرة فهي تتألف من البروتون – والنيترون، وكذلك النجوم فمنها أزواج ... إن ظاهرة

---

(٣) الإمام الطبري (٢٢٤- ٣١٠هـ) محمد بن جرير بن يزيد بن كبير بن غالب الآملى، الطبري ، أبو جعفر صاحب التصانيف المشهورة، استوطن بغداد وأقام بها إلى حين وفاته . كان عالما بالقراءات وفقيها فى أحكام القرآن . عالماً بالسنن وطرقها وصحيحها وسقيمها، وأخبار الصحابة والتابعين ومن أشهر مصنفاته كتاب (تاريخ الأمم والملوك) وكتابه التفسير المسمى بـ (جامع البيان فى تفسير القرآن) المعروف بتفسير الطبري ، أنظر، كتاب المقفى الكبير لتقى الدين المقريزي ، تحقيق/ محمد البعلاوي، دار الغرب الإسلامي ، ط١ ١٤١١هـ/١٩٩١م ، ج٥ رقم ١٩٧٠صـ٤٨١ .

(٤) تفسير الطبري .. جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: د. عبدالله عبدالمحسن التركي، دار هجر (القاهرة) ط١ ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ج٢١/ص٥٤٨ ـ ٥٤٩.

الزوجية في الكون ، في الذرة والإنسان والحيوان والنبات وغير ذلك توضح أن هناك إلهاً واحداً أبدعها وجعلها أزواجاً "[١] .

وبالرغم من ذلك يحاول هؤلاء الماديون تفكيك كل الثنائيات الموجودة في الكون التي تتناقض فلسفتهم الإلحادية معها، وجعلوا نقطة انطلاقهم، هي محاولة تفكيك مركزية الإنسان في الكون؛ حيث إن هذه المركزية الكونية للإنسان تنطلق من وجود ثنائيةٍ جوهرها إيمان المخلوق بوجود الخالق ﷻ، والإيمان بثنائيةٍ بين عالم الغيب وعالم الشهادة؛ تلك الثنائيةٍ التي جوهرها تحمل الإنسان أمانة الاستخلاف في الأرض عن رب العالمين، قال تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [٢]. فالإنسان في عالم الشهادة فيه من الملكات النفسية التي يعلم بها الماديون أنه يتجاوز حدود ماديتهم الضيقة، فهو لارتباطه بجوانبه الإنسانية اللامادية "يعبِّر عن نفسه من خلال مظاهر عديدة من بينها نشاطه الحضاري (الاجتماع الإنساني ــ الحس الخلقي ــ الحس الجمالي ــ الحس الديني) " [٣]، وهذا حاصلٌ فيه نتيجة التكريم الإلهي له بما ميَّزه عن كثيرٍ من المخلوقات في الكون، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [٤] .

فالإنسان ليس مجرد مادة طبيعية تخضع فقط لقوانين الطبيعة، فهو جزء منها، ولكنها ليست هي كل مصدر وجوده، وعلاقته بالكون ليست كعلاقة بقية الكائنات الحية، " فهو كائن لا يكتفي أبداً بما هو كائن وبما هو معطى ولا يرضى بسطح الأشياء، فهو دائب النظر والتدبر والبحث، يغوص وراء الظواهر ليصل للمعاني الكلية الكامنة وراءها والتي ينسب إليها، وهو الكائن الوحيد الذي يبحث عن الغرض من وجوده في الكون " [٥]، وما هذه

---

(٥) إعجاز القرآن وأسماء الله الحسنى، د. غسان حمدون، دار الفكر المعاصر (صنعاء) ط١ ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص٣٥.

(١) البقرة، الآية (٣٠).

(٢) الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، مصدر سابق، ص١٢.

(٣) الإسراء، الآية (٧٠).

(٤) الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، ص١٢.

الخصائص إلا منحٌ من الله تعالى لهذا الإنسان المخلوق من (نطفة) ليكون على بصيرة بحقيقة أمانة الاستخلاف التي تحمل تكليفها بين ثنائية عالم الغيب وعالم الشهادة، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ۝٩﴾ [(٥)]، **وقال تعالى** ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا﴾ [(٦)].

د. (النطفة) في القرآن ونقض دعوى الماديين بعدم وجود مركزية في الكون.

إنه بعد عرض المحاور الثلاث التي تشابكت فيها لفظة (النطفة)، وهي محور إقرار خلق الإنسان من (الطين)، ومحور مجابهة المخاصم لربه وخالقه ﷻ، ومحور خلق الإنسان من (النطفة الأمشاج)، يأتي المحور الرابع، وهو محور (خلق الزوجين من النطفة)، وهو ذلك المحور الذي يؤكد القرآن الكريم للماديين وغيرهم من خلال حديثه عن خلق الإنسان من (النطفة) أن المركزية مرحلة أساسية في وجود المخلوقات وتكاثرها، فإنه من خلال هذه المركزية تتجلى أهم ثنائيات الوجود، وهو خلق ثنائي الزوجين (الذكر والأنثى)، وبتكامل هذا الثنائي في الوجود تتكاثر الكائنات الحية وتستمر الحياة على الأرض، وهي الحقيقة العلمية التي تعود بالإنسانية إلى معرفة أصل وجود هذه السنَّة الكونية، وهما ثنائي (آدم وحواء) ــ عليهما السلام ــ، مصداقاً لقوله تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾ [(٣)]، **ثم إن هذا الأصل المركزي الذي تكاثر عنه البشر في الحياة على الأرض، يوصل بالضرورة إلى الإيمان بخالقهما الأول ﷻ، قال تعالى:** ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن

---

(٥) السجدة، الآيات (٦:٩).
(٦) الإنسان، الآية (٢).
(١) الأعراف، الآية (١٨٩).

نُّطۡفَةٖ ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجٗاۚ﴾ (١)، **وقال تعالى:** ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ٤٥ مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ ٤٦﴾ (٢).

قال الفخر الرازي: " قوله تعالى: ﴿مِن نُّطۡفَةٍ﴾ أي قطعة من الماء. وقوله تعالى: ﴿إِذَا تُمۡنَىٰ﴾ من أمنى المني إذا نزل أو منى يمني إذا قدر، وقوله تعالى ﴿مِن نُّطۡفَةٍ﴾ تنبيه على كمال القدرة؛ لأن النطفة جسم متناسب الأجزاء، ويخلق الله تعالى منه أعضاء مختلفة وطباعاً متباينة وخلق (الذكر والأنثى) منها أعجب ما يكون على ما بينا، ولهذا لم يقدر أحد على أن يدعيه كما لم يقدر أحد على أن يدعي خلق السماوات، ولهذا قال تعالى ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ﴾ (٣)، وقال تعالى ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ (٤) " (٥).

الخلاصة:

إنه من خلال بيان الدلالات الدعوية المستفادة من توظيف الآيات الإنسانية المتعلقة بخلق الإنسان كدليلٍ على وجود الله تعالى، وبطلان دعوى الماديين بأزلية (المادة)، فإنه يمكن تحديد إبرز هذه الدلالات الدعوية في الآتي:

١.أن القرآن الكريم ساق الشواهد الحسية الدالة على وجود الله تعالى ووجوب الإيمان به بأسلوب بياني معجز ينسجم معه الوجدان، ويطمئن إليه العقل بالنظر والاستدلال فيه، فضلاً عن التسليم بنتائجه، ومن هنا جاءت أهمية المنهج الحسي كمنهج في الدعوة إلى الله تعالى.

٢.أن ادعاءات الماديين حول أزلية (المادة) وعلاقتها بالوجود إنما هي مجرد ادعاءات مبنيةٌ فقط على الجحود والإنكار لحق الله تعالى على خلقه من الإيمان به والعبادة له ﷻ.

---

(٢) فاطر، الآية (١١).
(٣) النجم، الآية (٤٦).
(٤) الزخرف، الآية (٨٧).
(٥) لقمان، الآية (٢٥).
(٦) تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، للإمام فخر الدين الرازي، دار الفكر، ط١ ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ج٢٩ ص٢٢.

٣.أن كمال خلق الإنسان وتمام عقله من كمال قدرة الله تعالى، القائل في محكم التنزيل: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [١] ، وليس على الإنسان سوى أن يؤمن إيماناً مطلقاً بأن الذي أحسن خلقه وأكمل عقله على ما هو عليه هو الله ﷻ صاحب الكمال المطلق في صفاته وأفعاله.

٤.أن الإنسان خُلِقَ من عدمٍ (أي من لا شيء)، وأن (النطفة) مرحلةٌ خِلْقيةٌ وسط بين العدم (وهو التراب الطين) وبين كونه قد تحول من التراب والطين بتزاوج الذكر والأنثى إلى خليةٍ حيةٍ تستقر في رحم الأنثى بمشيئة الله تعالى، وفي ذلك دليلٌ قاطعٌ على بطلان دعوى الماديين بأزلية المادة؛ إذ أن لكل مخلوقٍ مبدأٌ ونهاية لوجوده.

٥.أن حقائق العلم الحديث حول خلق الإنسان إنما تنسجم مع ما جاء به القرآن الكريم من آيات إنسانية، وفي ذلك دليلٌ قاطعٌ على أن القرآن الكريم معجزة كل العصور.

٦.أن الملكات الإدراكية والوجدانية التي يتمتع بها الإنسان تؤكد أنه لا يوجد علاقة تطورية بينه وبين القردة كما يدعي التطوريون، بل إن له خالقاً وهو الله تعالى الذي أمده بهذه الملكات، وميَّزه بها عن بقية المخلوقات، وفي ذلك دليلٌ كافٍ على بطلان دعوى هؤلاء التطوريين.

---

(١) التين، الآية (٤).

المبحث الثاني

النظام الكوني وتوظيف المنهج الحسي في إثبات وحدانية الله تعالى

أولا: مقاصد الكلام في حفظ نظام السماوات والأرض عند الإمام الأشعري

إن المحور الرئيس الذي تدور في فلكه الدعوة الإسلامية هي عقيدة التوحيد، فهي أساس الإسلام وجوهر سائر الرسالات السماوية، وهي التكليف المنوط به جميع الخلق، قال تعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾(١)، **وقال تعالى** ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾(٢)، **وقال تعالى** ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۞ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۞ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ﴾ (٣).

ولذا فقد أكَّد الإسلام على أهمية إدراك العقل بأن خالق الكون هو إلهٌ واحدٌ لا شريك له، قال تعالى ﴿ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(٤)، **والتكليف بأمر العبودية لله وحده هو التكليف المنوط به جميع الخلق من الإنس والجن، قال تعالى** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾(٥)، **وقال تعالى** ﴿ قُلۡ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ (٦). **وقال تعالى** ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾(٧).

---

(١) الأنبياء ، الآية (٢٥).
(٢) الأنعام، من الآية (٩٠).
(٣) آل عمران، الآيات (١:٤).
(٤) البقرة ، الآية (١٦٣).
(٥) البقرة ، الآية (٢١).
(٦) الأنبياء ، الآية (١٠٨).
(٧) الذاريات ، الآية (٥٦).

والتوحيد: في اللغة الحكم بأن الشيء واحد والعلم بأنه واحد، وفي اصطلاح أهل الحقيقة تجريد الذات الإلهية عن كل ما يتصور في الأفهام ويتخيل في الأوهام والأذهان، والتوحيد معرفة الله تعالى بالربوبية والإقرار بالوحدانية ونفي الأنداد عنه جملة [١]، قال تعالى ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [٢].

وإثبات وحدانية الله تعالى عند علماء الكلام المسلمين جاءت على وجه مخصوص من طريق إثبات أنه وحده ﷻ الصانع والخالق لجميع الخلائق، ولا شريك له في ملكه، وفي إثبات هذا المقصد العقدي أورد علماء الكلام دليلين، سموا أحدهما بدليل (التمانع) والآخر بدليل (التوارد)، وذلك في ضوء قوله تعالى ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[٣] وخلاصة ما جاء حول هذين الدليلين على النحو الآتي[٤]:

أن المخلوق الذي يتصور الناس أن له شريكان في صنعته لا مناص من أن يُمانع أحد الشريكين تنفيذ إرادة الآخر، فتثبت الإرادة والقدرة في حق أحدهما، بينما يثبت العجز في حق الآخر؛ إذ يستحيل تنفيذ إرادتهما معاً إذا تعلقت إرادة أحدهما بإيجاد الشيء وتعلقت إرادة الآخر بعدم إيجاده؛ لأنه من المحال أن يجتمع الموت والحياة في شيء واحد. والذي تثبت قدرته وإرادته في الخلق هو الصانع وحده، ولا حاجة لهذا الصانع إلى الشريك، وقياساً على ذلك فإن الثابت في حق الله – تعالى – أنه ﷻ هو وحده الصانع للكون،

---

(٨) التعريفات للعلامة السيد الشريف علي الجرجاني ص٧٣ ، نسخة Pdf من إصدارات Googl

(٩) البقرة ، الآية (٢٢).

(١) الأنبياء، الآية (٢٢).

(٢) لمزيد من التفاصل أنظر: شرح العقيدة الوسطى لأبي إسحاق الأندلسي المعروف بالسرقسطي، دار كشيدة (القاهرة) ط٢ ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م، ص١٧٨.

وهو ﷻ أغنى الشركاء عن الشرك. ولذا جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال : ﷺ قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك ﷺ[١].

أو أن يتقاسم الشريكان الشيء المملوك، ويصير الاختلاف بينهما أمراً واقعاً لا محالة، فيجورُ أحدهما على ملك الآخر، إما بالاستحواذ أو بالإهلاك له، أو أن يذهب كل صانع بما صنع، وهذا هو جوهر إفساد الصنعة للصانعين، ومضيعةٌ للانتفاع بها، وفي هذا السياق نفهم الحكمة من قول الحق ﷻ في إثبات وحدانيته قائلاً: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[٢].

وعليه، فإنه قياساً على ما جاء في خلاصة هذين الدليلين تثبت وحدانية الله تعالى، فهو ﷻ رب العالمين، خالق السماوات والأرض، لا شريك له، فإنه لم يشهد العقل والحس فساد الصنعة في نظام السماوات والأرض وجميع ما في الكون، الأمر الذي أمْكن الإنسانُ دوام الانتفاع بهما، ما دامت السماوات والأرض، لأنه لا تنفذ في هذا الكون إلا إرداة واحدة وهي إرادة الله تعالى. ومن ثمَّ ثبت أن الله واحدٌ لا شريك له، وهذه هي الحجج التي احتج بها الحق ﷻ على خلقه في قرآنه الكريم في قوله تعالى﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾ .

وما أشرت إليه آنفاً من توضيحٍ لدليلي التمانع والتوارد في إثبات وحدانية الله تعالى هو مقصد كلام الإمام الأشعري عن هذين الدليلين في قوله: " فإن قال قائل: لم قلتم إن صانع الأشياء واحد؟ قيل له: لأن الاثنين لا يجري تدبيرهما على نظام ولا يتسق على إحكام، ولابد أن يلحقهما العجز أو واحدا منهما؛ لأن أحدهما إذا أراد أن يحيى إنساناً وأراد الآخر أن يميته لم يخل أن

---

(٣) رواه الإمام مسلم، ك/ الزهد والرقائق، ب/ من أشرك في عمله غير الله، ٥/٥٣، حديث رقم ٤٦ (٢٩٨٥). ج٨ ص٥٣٥.
(٤) المؤمنون، الآية (٩١).

يتم مرادهما جميعاً أو لا يتم مرادهما، أو يتم [مراد أحدهما دون الآخر. ويستحيل أن يتم] مرادهما جميعاً؛ لأنه يستحيل أن يكون الجسم حياً ميتاً في حال واحدة. وإن لم يتم مرادهما جميعاً وجب عجزهما، والعاجز لا يكون إلهاً ولا قديماً . وإن تم مراد أحدهما دون الآخر وجب عجز من لم يتم مراده منهما والعاجز لا يكون إلهاً ولا قديماً) فدل ما قلناه على أن صانع الأشياء واحد. وقد قال الله تعالى﴿لَوْكَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ فهذا معنى احتجاجنا آنفاً " أ.ه [١].

ثانيا: اللمحات الدعوية المستفادة من الاستدلال النظري على وحدانية الله تعالى بحفظ نظام السموات والأرض.

إن من أهم المقاصد الدعوية للآيات الكونية في القرآن الكريم إثبات وجود الله تعالى والإيمان بوحدانيته تعالى، وآيات خلق السموات والأرض من أعظم الدلائل الكونية على هذا المقصد، وهو ما يتضح جلياً من عرض القرآن الكريم صورتهما بشيء من الإحاطة عن خلقهما وعجز البشر نحوهما مقارنة بعظمة خلقهما، قال تعالى﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٢].

ومن منطلق هذه العظمة في خلق السموات والأرض اتخذهما القرآن الكريم دليلاً مشهوداً على وحدانية الله تعالى، ووجوب الإيمان به، وهو ما كان من أهم دوافع وجوب هذا المقصد الدعوى عند الأنبياء والرسل – عليهم السلام

(١) اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، ص ٢٠،٢١.
(٢) غافر، الآية (٥٧).

– ، فلا تكاد توجد رسالة سماوية إلا واستند المكلف بها من الأنبياء والرسل إلى دعوة الخلق للنظر في السماوات وفهم الحكمة من تمكينهم في الأرض للإيمان بخالقهم ﷻ، من ذلك:

– ما جاء حكايةً عن نوح عليه السلام مع قومه، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾﴾ (١).

– ما جاء حكايةً عن إبراهيم عليه السلام مع قومه، قال تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ (٢).

– ما جاء حكايةً عن هود عليه السلام مع قومه، قال تعالى ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾﴾ (٣).

– ما جاء حكايةً عن صالح عليه السلام مع قومه، قال تعالى ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (٤).

– ما جاء حكايةً عن مجابهة موسى عليه السلام لكفر فرعون، قال تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾﴾ (٥).

---

(١) نوح، الآيات (١٥:١٧).
(٢) الأنبياء، الآيتان (٥٥،٥٦).
(٣) الشعراء، الآيات (١٣١:١٣٤).
(٤) هود، الآية (٦١).
(٥) الشعراء، الآيتان (٢٣،٢٤).

لكنَّ انحراف كثير من البشر في تصورهم عن خلق السماوات والأرض وخالقهما ﷻ، ترتَّب عليه الانحراف في الإيمان بوحدانية الله، ومع دوام حفظ نظام السماوات والأرض يتكشفُ هذا الزيغ العقديُ لدى هؤلاء البشر، لأن من آثار الوحدانية، حفظ صنعة الصانع الواحد الأحد ﷻ إلى قيام الساعة، وهو ما تقوم بتوضيحه تلك الإطلالة الدعوية على النحو الآتي:

(أ) السماء والأرض وعلاقتهما بمظاهر الشرك بالله تعالى وآثاره في أقدم الحضارات.

لقد كان خلق السماوات والأرض من الظواهر الكونية التي أخذت مساحة كبيرة في القرآن الكريم، وذلك كشواهد كونية دالة على عظمة الخالق ﷻ وقدرته المطلقة في الخلق، وبالرغم من أن الله ﷻ قال في كتابه الكريم﴿ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا **﴾**(١).

إلا أنه سبحانه وتعالى دعى البشر إلى النظر فيهما ليعرفوا عظمته جل وعلا، قال تعالى﴿ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ **﴾**(٢)**. وليدركوا أنه ﷻ المستحق وحده عبادة خلقه له، قال تعالى﴿** ۞ قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ١٠ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ١١ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ١٢ **﴾** (٣).

---

(٦) الكهف، الآية (٥١).
(١) ص، الآية (٢٧).
(٢) فصلت، الآيات (٩:١٢).

ولا أن يقع منهم الإلحاد في آياته تعالى كالدهرية الملحدون الذين بيَّن القرآن الكريم نحلتهم في قوله تعالى ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ (١).

وبالرغم من دعوات الأنبياء والرسل – عليهم السلام – للبشر في تصحيح مفاهيمهم الخاطئة عن العبودية لغير الله تعالى، فإن كثيراً منهم في أقدم الحضارات الإنسانية كان انحرافهم العقدي قد أخذ صوراً متعددة من العبادة الخاطئة لأشياء محسوسة في الأرض، وكذلك عبادة الأجرام السماوية والكواكب، إما بسبب الخوف منها لاعتقاد أنها مصدرٌ للشر، أو بسبب الاعتقاد في أنها متحكمة في مصائر الخلق بالحياة أو الموت، أو العطاء الدنيوي، ومن الحضارات القديمة التي مارست العبادة للأجرام السماوية، الآتي:

– شيد السومريون القدماء معابد لعبادة الشمس والقمر، لاعتقاد أهميتهما وعظيم فوائدهما في الحياة، وكذلك عبدوا إلهاً للزرع، وآخراً للفيضانات ...إلخ (٢).

– كذلك " لم تكن الأجرام السماوية في اعتقاد المصريين القدماء مجرد أجرام، بل كانت هي الصورة الخارجية لأرواح عظيمة لآلهة ذوات إرادات " (٣).

– وفي الهند توجد فرقتان عبدةً للكواكب، فرقة (الدينيكيتية) أي عباد الشمس، وفرقة (الجندريكيتية) أي عباد القمر(١) .

---

(٣) الجاثية، الآية (٢٤).
(٤) قصة الحضارة ، ول ديورانت، ترجمة : زكي نجيب محمود، محمد بدران، مكتبة الأسرة ٢٠٠٣م، ٢/١ ص٢٨.
(٥) المصدر نفسه ص ١٥٦.

- **وكان قوم نبي الله إبراهيم عليه السلام صابئين يعبدون الكواكب ويصورون لها أصناماً، وتلك كانت ديانة الكلدانيين قوم نبي الله إبراهيم عليه السلام [٢].**

وانطلاقاً من ذلك جاءت دعوة القرآن الكريم لأمثال هؤلاء القوم بالنهي عن عبادة الأجرام السماوية، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [٣].

أما بالنظر في عبادة البشر لغير الله تعالى لمظاهر أرضية فحدِّث ولا حرج؛ حيث كثرت مظاهر الشرك وعبادة الأوثان، وكانت دعوات الأنبياء والمرسلين حبلُ النجاة للخلق من الوقوع في براثن الوثنية والشرك بالله تعالى، ومن ثمَّ النجاة من عقاب الله تعالى لهم في الدنيا والآخرة، فإنه بفساد الإنسان في العقيدة، يظهر الفساد في المنهج الذي يُسيِّرُ به شئون حياته؛ حيث لا يحكمه وحيٌ منزَّل من الله، وبفساد المنهج يكون الفساد في الأرض، وهي الظاهرة التي باتت نافذةً بإرادة الخلق وكسبهم، تلك الظاهرة التي رصدها القرآن الكريم عند عرض دعوات الأنبياء والرسل – عليهم السلام – . قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [٤]. **" والمعنى: فلولا كان**

---

(٦) الملل والنحل لأبي محمد بن عبدالكريم الشهرستاني، تحقيق: أ. عبدالعزيز محمد الوكيل، الحلبي (القاهرة)، د ت ج٢ ص١٠٣، ١٠٤.
(١) التحرير والتنوير، ج٧، ص ٣١٧.
(٢) فصلت، الآية (٣٧).
(٣) هود، الآية (١١٦).

منهم أولو مراقبةٍ وخشيةٍ من انتقام الله، كأنهم ينتظرون إيقاعه بهم لإشفاقهم، والفساد هنا الكفر وما اقترن به من المعاصي"[١].

(٤) تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، تحقيق جمع من العلماء، دار الكتب العلمية (بيروت ـ لبنان) ط١ ١٤١٣هـ /١٩٩٣م ج٥ ص٢٧١.

نماذج دعوية لمواجهة الأنبياء - عليهم السلام - ظاهرة الفساد في الأرض:

١. دعوة نبي الله موسى عليه السلام

ففي دعوة نبي الله موسى عليه السلام تعرَّض القرآن الكريم لفساد اليهود، فقال تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾[١]، **كما تعرَّض لفساد فرعون في الأرض، فقال تعالى** ﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾[٢]،

وكذلك تعرَّض القرآن الكريم لقضية فساد سحرة فرعون قبل إذعانهم للتوحيد، قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئۡتُم بِهِ ٱلسِّحۡرُۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾[٣]، **وأيضاً تعرض لفساد قارون، قال تعالى:** ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [٤].

٢. دعوة نبي الله صالح عليه السلام

واجه نبي الله صالح عليه السلام فساد قوم ثمود، قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ عَادٖ وَبَوَّأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورٗا وَتَنۡحِتُونَ ٱلۡجِبَالَ بُيُوتٗاۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾[٥]، **وقال تعالى:** ﴿وَكَانَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ تِسۡعَةُ رَهۡطٖ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ﴾ [٦].

---

(٥) المائدة، الآية (٦٤).
(٦) القصص، الآية (٤) .
(١) يونس، الآية (٨١).
(٢) القصص، الآية (٧٧).
(٣) الأعراف، الآية (٧٤).
(٤) النمل، الآية (٤٨).

٣. دعوة نبي الله شعيب عليه السلام

واجه نبي الله شعيب عليه السلام فساد قوم مدين في الأرض، فقال تعالى حكاية عنه عليه السلام: ﴿وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ (١).

وقد بينت آية سورة الروم نفاذ ظاهرة الفساد في الأرض بما اكتسبته أيدي البشر، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ (٢).

وفي عقب بيان علاقة السماء والأرض بعبادة الخلق لغير الله تعالى، وأثرُ ذلك في ظهور الفساد في الأرض يرد سؤالان:

- **<u>أولهما</u>: هل فقدت الأرض صلاحيتها لمعيشة البشر فيها بظهور الفساد فيها؟ أم لا؟ ولماذا؟**
- **<u>ثانيهما</u>: هل خضعت السماوات لأهواء الخلق، خاصة من عبدوا أجرامها؟ أم لا؟ ولماذا؟**

والإجابة عن هذين السؤالين مترتبة على توضيح الدلالات الدعوية لقيام السماوات والأرض بأمر الله تعالى، وذلك على النحو التالي:

(ب)الدلالات الدعوية لقيام السماوات والأرض بيد الله ﷻ كما جاء في القرآن الكريم.

---

(٥) هود، الآية (٨٥).
(٦) الروم، الآية (٤١).

ذكر القرآن الكريم قضية حفظ الله ﷻ السماوات والأرض من الزوال، كما أثار قضية ظهور الفساد في الأرض، فقد بيَّنت الآيات الكريمة أنه ﷻ قد شاءت إرادته أن صار الفساد ظاهرة نافذة في ظواهر الأرض من البر والبحر بما اكتسبته أيدي البشر من المعاصي والذنوب، لقوله تعالى﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ ﴾، بينما تعجز أيدي الخلق (أنسهم وجنهم) عن أن تطال الأجرام السماوية بالفساد؛ لأن إرادة الخلق غير نافذة بأي حال من الأحوال فيها كما هو حالهم في الأرض؛ إذ أن حفظها المطلق بيد الله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴾(١) ومع ذلك نستطيع أن ندرك حكمة من الحكم الإلهية في قيام الأرض والسماء بأمره تعالى، قال تعالى ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾(٢)، وقال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾(٣)، فهو ﷻ لا يعجزه ولا يثقله حفظهما معاً، قال تعالى ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾(٤)، وقضية ظهور الفساد في البر والبحر لا تتعارض من حفظ الله تعالى للسماء والأرض بأمره، وذلك لسببين:

١. السبب الأول: أن الله ﷻ مهَّد الأرض وأهَّلها لسكنى الخلق واستعمارهم فيها إلى قيام الساعة، فظهور الفساد في البر والبحر لا يؤثر سلباً في دوام انتفاع الخلق بها ما دامت السموات والأرض، وهذه الحقيقة القرآنية جاءت في أكثر من موضع، من ذلك:

- **قوله تعالى:﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا ﴾(٥).**
- **وقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً ﴾(٦).**

---

(١) الأنبياء، الآية (٣٢).
(٢) الروم، الآية (٢٥).
(٣) فاطر، الآية (٤١).
(٤) البقرة، الآية (٢٥٥).
(٥) طه، الآية (٥٣).
(٦) غافر، الآية (٦٤).

– **وقوله تعالى:** ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ (١).

٢. السبب الثاني: هو أن الفساد الحاصل في البر والبحر مجرد أمر ظاهري لا يتعلق بصميم البنية التكوينية للأرض، وإنما هو محصلة ما اكتسبه البشر من آثام ومعاصي وشرور نتيجة مخالفتهم منهج الله تعالى خالق هذا الكون، وقد باتت آثار هذا الفساد تلاحقهم في حياتهم لأنها من صنع أيديهم، فإنه ﷻ قد أدام انتفاع الخلق بالأرض إلى قيام الساعة لقوله تعالى ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ (٢).

قال القاسمي في محاسن التأويل: " قوله تعالى﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ أي كثرة المضار والمعاصي على وجه الأرض وعلى ظهر السفن في لجج البحر ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾، أي من الآثام والموبقات ففشا الفساد وانتشرت عدواه وتوارثه جيل عن جيل أينما حلوا وحيثما ساروا﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ اللام للعاقبة. أي ظهور الشرور بسببهم، مما استوجبوا به أن يذيقهم الله وبال أعمالهم، إرادة الرجوع. وقيل اللام للعلة، على معنى أن ظهور الجدب والقحط والغرق بسبب شؤم معاصيهم، ليذيقهم وبال بعض أعمالهم في الدنيا، قبل أن يعاقبهم بجميعها في الآخرة، لعلهم يرجعون عما هم عليه . كقوله تعالى﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ (٣) " (٤).

وإذا كان الفساد قد طال ظاهر الأرض بسبب معاصي الخلق وذنوبهم، فلم ولن تطال السماء آثار هذا الفساد، ويمكن إرجاع ذلك لثلاثة أسباب:

(أ) السبب الأول: أن الله ﷻ لم يجعل للإنس والجن سبيلاً إلى السماء كالأرض، بل حال بينهم وبين النفاذ إليها، قال تعالى ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ

---

(٧) الملك، الآية (١٥).
(١) إبراهيم، الآية (٤٨).
(٢) الشورى، الآية (٣٠).
(٣) تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، مصدر سابق ، ج١٤ ص٤٧٨٤.

إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴾[١]، **" عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ قال: معناه: إن استطعتم أن تعلموا ما في السموات والأرض فاعلموا ولن تعلموه إلا بسلطان أي ببينة من الله ﷻ "**[٢].

(ب) السبب الثاني: أن الله ﷻ جعل السماء مصدراً لعطاءاته ــ تعالى ــ لجميع خلقه، أنسهم وجنهم، مؤمنهم وكافرهم، وسائر مخلوقاته في الأرض، وشواهد ذلك كثير في القرآن الكريم، مما يدل على وحدانية الله تعالى، لأنه ﷻ الخالق، وهو وحده مالك الأرزاق ومقسمها على الخلق، ولا شريك له في ملكه، قال تعالى: ﴿ أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ﴾[٣]. **وقال تعالى:**﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴾[٤]، **وقال تعالى**﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴾[٥]، **"الرّزق: إباحةُ الانتفاع بالشيء على وجه يُحَسِّنُ ذلك، قال تعالى** ﴿ وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقٗا حَسَنٗا فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ سِرّٗا وَجَهۡرٗاۖ ﴾**: والله تعالى هو الرَّزّاقُ، وهو الرَّازِقُ "**[٦].

---

(٤) الرحمن، الآية (٣٣).
(٥) تفسير البغوي المسمى " معالم التنزيل" لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبدالله النمر، دار طيبة (الرياض) ١٤٠٩هـ ، ج٧ ص٤٤٨.
(١) النمل، الآية (٦٠).
(٢) فاطر، الآية (٣).
(٣) الذاريات، الآية (٥٨).
(٤) تفسير أسماء الله الحسنى، لأبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دار المأمون (دمشق) ط٥ ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص٣٨.

وقد عاب القرآن الكريم على المشركين الذين يعبدون غير الله الذي يملك الرزق في السماوات والأرض، فقال تعالى ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ رِزۡقٗا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴾ [١]، **وأبطل حجتهم في الشرك في قوله تعالى** ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾[٢]. **فلا يملك شركاء المشركين شيئاً من الخلق والأرزاق، لا في السماوات ولا في الأرض، فهم مجرد أدعياء.**

قال الطاهر بن عاشور: " لما جرى ذكر المشركين وتعنتهم وحسبان أنهم مقتوا المسلمين عاد إلى الاحتجاج عليهم في بطلان إلهية آلهتهم بحجة أنها لا يوجد في الأرض شيء يدَّعَى أنها خلقته، ولا في السماوات شيء لها فيه شرك مع الله، فأمر الله رسوله ﷺ أن يحاجهم ويوجه الخطاب إليهم بانتفاء صفة الإلهية عن أصنامهم، وذلك بعد أن نفى استحقاقها لعبادتهم بأنها لا ترزقهم كما في أول السورة [٣]. **[يقصد] في قوله تعالى** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴾ [فاطر:٣].

(ج) السبب الثالث: هو أن نظام السماء بما فيها من الأجرام مرتبط به تشريعات تعبدية عند البشر، المؤمن منهم والكافر، فقد قال تعالى في كتابه الكريم ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾[٤]. **لكن مع انحراف كثير من**

---

(٥) النحل، الآية (٧٣).
(٦) فاطر، الآية (٤٠).
(٧) التحرير والتنوير، ج٢٢، ص٣٢٣- ٣٢٤.
(١) الذاريات، الآيات (٥٦).

البشر عن عبادة الله ــ تعالى ــ ، فإنه لا تخلو شريعة تعبدية (سماوية أو وضعية) إلا وفيها بعض الشعائر المرتبطة بحركة الأجرام السماوية، فهناك من البشر من يعبد غير الله تعالى، ومع ذلك يربطون شعائرهم التعبدية بنظام السماء وأجرامها، وصدق الله العظيم القائل ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾[١]. ومن النماذج الموضحة لارتباط أداء بعض العبادات بنظام السماء الآتي:

١. أركان الإسلام الأربعة التعبدية مرتبط أداؤها بنظام الأجرام السماوية:

أ. الصلاة ركن من أركان الإسلام وعبادة مرتبطة بحركة الشمس والقمر، وحركة الليل والنهار. قال تعالى ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ٧٨ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩ ﴾[٢]. وفي الحديث قال رسول الله ﷺ: " إذا صليتم الفجر فإنه وقتٌ إلى أن يطلع قرن الشمس الأول، ثم إذا صليتم الظهر فإنه وقتٌ إلى أن يحضر العصر، فإذا صليتم العصر فإنه وقتٌ إلى أن تصفرَّ الشمس، فإذا صليتم المغرب فإنه وقتٌ إلى أن يسقط الشفق، فإذا صليتم العشاء فإنه وقتٌ إلى نصف الليل"[٣].

---

(٢) الأعراف، الآية (١٥٦).
(٣) الإسراء، الآيتان (٧٨،٧٩).
(٤) رواه الإمام مسلم، ك/ المساجد ومواضع الصلاة، ب/ أوقات الصلوات الخمس، ٣١/٥ حديث رقم ١٧١- (٦١٢) ، ج٢ ص٥٦٨.

ب. **الصيام ركن من أركان الإسلام وعبادة مرتبطة بحركة الأهلة، قال تعالى** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ ﴾[١]، **وفي الحديث أن رسول الله ﷺ ذكر رمضان فقال: " لا تصوموا حتى تروا الهلال، ولا تفطروا حتى تروه، فإن أغمي عليكم فاقدروا له" [٢]، كما أن الصيام ركن يقوم المسلمون بانقضاء مدته خلال شهر رمضان بالاحتفاء بعيد الفطر،**

ج. **الحج ركن من أركان الإسلام وعبادة مرتبطة بحركة الأهلة. قال تعالى** ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ ﴾[٣]، **كما أن الحج ركن يقوم المسلمون بعد أداء شعائره صباح يوم العاشر من شهر ذي الحجة بالاحتفاء بعيد الأضحى، قال تعالى** ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ٣ ﴾[٤].

د. **الزكاة ركن من أركان الإسلام وعبادة مرتبط أداؤها ببلوغ النصاب المقدر فيه الزكاة من المال عند إتمامه حولا كاملا (أي عاماً). والحول وتقديره مرتبط بالسماء من حيث دورة القمر .**

٢. **نماذج من العبادات في أديان أخرى غير الإسلام مرتبطة بنظام الأجرام السماوية:**

---

(٥) البقرة، الآيتان (١٨٣،١٨٤).
(٦) رواه الإمام مسلم، ك/ الصيام، ب/وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال والفطر لرؤية الهلال، ٢/١٣، حديث رقم ٣- (١٠٨٠) ج٤ ص٧.
(١) البقرة، الآية (١٨٩).
(٢) سورة الكوثر.

إنه وفق قانون التسخير الإلهي من الله تعالى لخلق السماوات والأرض لجميع خلقه كما في قوله تعالى ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[١] **يتحقق عموم انتفاع البشرية جميعاً بما فيهما، فالمؤمن والكافر يتساويان في الانتفاع بما خلق الله تعالى في السماوات والأرض، ومن أجلِّ هذه النعم دوام حفظ نظام السماوات والأرض، فبدوام حفظهما بقدرة الله تعالى تدوم الحياة على الأرض، والعبادات الدينية غير الإسلامية تُظهر كذلك هذه الحقيقة، خاصةً في ارتباط أداء بعض الطقوس التعبدية عند البشر المتدينين بغير الإسلام بأجرام السماء من حركة الشمس والقمر والليل والنهار.**

فلقد حرص البشر منذ القدم على متابعة الأجرام السماوية وتنظيم حساباتها الفلكية، إما لارتباط حياتهم الزراعية بها كما كان حال المصريين القدماء؛ حيث " كان الفراعنة أول من أنشأ في العالم تقويماً شمسياً أسموه بـــ ((التقويم النيلي)) لمتابعة أحوال النيل وفيضانه، وكان مكوناً من اثني عشر شهراً، في كل شهر ثلاثين يوماً " [٢]**، أو لارتباط نظام العبادات والطقوس الدينية بنظامها.**

كذلك " قام رجال الكنيسة الكاثوليكية بإعادة النظر في الحسابات الفلكية التي كان موضوعاً على أساسها التقويم السنوي عندهم على نظام أرسطو وبطليموس في القرون الوسطى، وذلك حينما وجدوا أن هذه الحسابات

---

(٣) الجاثية، الآية (١٣).

(٤) لغز الحضارة الفرعونية، د: سيد كريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٦م ص١١٩.

القديمة قد أدت إلى عدم قدرتهم على ضبط مواعيد طقوسهم الدينية وأعيادهم المقدسة، وعليه فقد دفعوا بعالم الرياضيات كوبرنيكس ليعيد النظر فيها، ومن هنا ظهر اكتشاف نظام المجموعة الشمسية " [١].

كما نجد أداء الصلوات أمام النار المقدسة عند الزرادشتيين مرتبطة ببزوغ الشمس وزوالها وغروبها [٢]، وكذلك نجد أداء بعض العبادات كالصوم عند البراهمة مرتبط بشروق الشمس وغروبها، وفصول الخريف والربيع والصيف والشتاء[٣].

إنه ﷻ حقاً رب العالمين الذي شمل بربوبيته جميع الخلائق، ولكن هؤلاء الذين ينتفعون بخلق الله تعالى ويتعبدون لغيره، إنما هم يجحدون بآيات الله تعالى، ويجحدون حقه ﷻ من الشكر والثناء بعبادتهم للخلق وليس للخالق ﷻ ، ويَصْدقُ فيهم قول الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴾ [٤] . وقوله تعالى ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗا ﴾[٥].

إنه ﷻ بيده وحده ملكوت السماوات والأرض، ومن دلائل وحدانيته ــ تعالى ــ هو أن نظام السماوات والأرض لا يتبع أهواء أحد من الخلق، وأن أمرهما

---

(١) عندما تغير العالم، تأليف: جيمس بيرك، ترجمة: ليلى الجبالى، عالم المعرفة (المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت)، عدد (١٨٥)، مايو ١٩٩٤م ص ١٣٩، ١٤٠بتصرف شديد.

(٢) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، د: علي عبدالواحد وافي، دار نهضة مصر، ط١ ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م، ص١٥١.

(٣) المصدر نفسه ، ص١٧٠.

(٤) الأعراف، الآية (٥١).

(٥) النمل، الآية (١٤).

بيده الواحد الأحد، وإلا لبدا فساد نظامهما، وصدق الله العظيم حين قال: ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (١).

قال ابن عاشور: " ففساد السماء والأرض هو أن تصيرا غير صالحتين ولا متسقتي النظام بأن يبطل الانتفاع بما فيهما، فمن صلاح السماء نظام كواكبها، وانضباط مواقيت طلوعها وغروبها، ونظام النور والظلمة "(٢).

وانطلاقا من ذلك ندرك حكمةً من الحكم الإلهية من نفاذ مشيئة الحق ﷻ في حفظ السماء وأجرامها، لأن قيم (الحق) محفوظة بهذا الحفظ، وحياة الخلق في الدنيا مرتبطة به كذلك، ولن يختل نظام عبادات الناس (مؤمنهم وكافرهم) ما دامت السماوات والأرض. ومن هنا ندرك معنى من معاني قول الله تعالى ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ ﴾(٣). **ففساد السماوات والأرض معاً نتيجة لازمة عن اتباع الحق أهواء الخلق، لكن محالٌ أن يخضع (الحق) لأهواء الخلق، وشاهد ذلك أن نظام السماوات والأرض لم يفسد، ولن يفسد؛ لأن الله واحد لا شريك له في ملكه، سواء عبده الإنس والجن، أم كفروا به ــ والعياذ بالله ــ إقراراً لقوله تعالى** ﴿ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ﴾ (٤). **وإقراراً لقيومية الله ــ تعالى ــ في السماوات والأرض لم ينكر المشركون أن خالق السماوات والأرض ومسخر الشمس والقمر هو الله ﷻ، قال تعالى:** ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴾ (٥).

---

(٦) الأنبياء، الآية (٢٢).
(٧) التحرير والتنوير، ج١٧، صـ٣٩.
(١) المؤمنون، الآية (٧١).
(٢) الكافرن، الآية (٦).
(٣) العنكبوت، الآية (٦١).

(ج) **حفظ السماء والأرض وتحقيقهما لقول الله تعالى** ﴿ وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ ﴾

لقد تبيَّن سلفاً أن الله ﷻ جعل من أدلة وحدانيته أنه ﷻ خلق كل شيء في الكون من زوجين اثنين كما جاء بيانه في القرآن الكريم، من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ [١]. **جاء في تفسير الطبري: " قوله تعالى** ﴿ وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ ﴾ **: الكفرَ والإيمان، والشقاءَ والسعادةَ، والهدى والضلالة، والليل والنهار، والسماء والأرض، والجن والإنس، والشمس والقمر "**[٢].

وزوجية السماء والأرض من وجوه معناه: أن (السماء) جعلها الله ﷻ سبباً في خلق الأشياء في الأرض من زوجين بإنزال ماء المطر وإرجاعه، قال تعالى ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ﴾[٣]. **وقال تعالى**﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴾[٤]. **يقول الطبري: " يقول تعالى ذكره:** ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴾**: ترجعُ بالغيوثِ وأرزاق العباد كل عامٍ "**[٥] .

الخلاصة:

إنه في نهاية بيان هذه اللمحات الدعوية لأهمية حفظ الرحمن ﷻ لنظام السماوات والأرض وهو الأمر المشهود، ندرك حقيقة الاستدلال النظري الذي ساقه الإمام الأشعري من هذا الشاهد الحسي الوارد في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾ **وذلك للدلالة على**

---

(٤) الذاريات، (٤٩).
(٥) تفسير الطبري، .. جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، مصدر سابق، ج٢١، ص٥٤٧.
(٦) الذاريات، الآية (٢٢).
(٧) الطارق، الآية (١١).
(٥) تفسير الطبري، ج٢٤، ص٣٠٢.

وحدانية الله تعالى في إطار تلازم نفي احتمالية فساد السماوات والأرض بالنفي المطلق لوجود الشريك له ﷻ، فالآية الكريمة قد تضافرت شواهدها الكونية الدالة على وحدانيته ــ تعالى ــ بدوام نفع السموات والأرض للبشر في الدنيا (مؤمنهم وكافرهم)، فالآية الكريمة لا تسوق افتراضاً لاختبار ما إذا كان هناك شريك لله تعالى، أم لا، ــ حاشا وكلا ــ بل إنها تجزم وتقطع بأنه لا يوجد شريك له ﷻ، لأنه لم ولن يشاهد البشر اختلال نظام السماوات والأرض إلا يوم القيامة؛ إذ هو يوم الحساب والجزاء، وليس يوم العمل، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾[1].

(١) إبراهيم، الآية (٤٨).

المبحث الثالث

القدرة الإلهية على بعث الموتى وتوظيف المنهج الحسي في إثباتها

أولا: مقصد الكلام في قدرة الله تعالى على بعث الموتى وحشرهم عند الإمام الأشعري

البعث هو: النشر والإحياء بعد الموت ، " والبعث ، والحشر ، والمعاد ، والإحياء ، والنشر، ألفاظ مترادفة " (١) .

والبعث بعد الموت هو الإحياء الأخير للمخلوقات في اليوم الآخر، ذلك اليوم الذي يبدأ عالمه بانتهاء عالم الدنيا وأيامه بحساباته الفلكية. واليوم الأخر: " هو يوم القيامة وأوله من وقت الحشر إلى ما لا يتناهى على الصحيح، وقيل : إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ، وسُمىَّ باليوم الآخر لأنه آخر أيام الدنيا بمعنى أنه متصل بآخر أيام الدنيا لأنه ليس منهما حتى يكون آخرها " (٢).

ومن الآيات القرآنية الواردة حول هذا الأمر قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ﴾(٣)، **وقوله تعالى**﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ ﴾(٤)، **وقوله تعالى**﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ (٥) ، **وقوله تعالى**﴿وَٱلۡمَوۡتَىٰ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ﴾(٦) .

---

(١) المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، د.عبدالمنعم الحفني، مكتبة مدبولي (القاهرة) ط٣ ٢٠٠٠م ص١٥٨.

(٢) حاشية الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد ، دار السلام ط١ ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، صـ٢٨٨.

(٣) الحج ، من الآية (٥).

(٤) الروم ، الآية (٢٠).

(٥) الروم ، الآية (٤٠).

(٦) الأنعام ، الآية (٣٦).

إن الإيمان بالبعث مقصدٌ من مقاصد العقيدة الإسلامية، ولإثباته ساق الإمام الأشعري رَحِمَهُ اللَّهُ شواهد قرآنية حسيةً، منتهجاً فيها النظر والاستدلال على قدرة الله تعالى في إعادة نشأة الخلق مرة أخرى بعد موتهم، ومن بين هذه الشواهد التي ذكرها يوجد شاهدين تظهر فيهما للعيان علامات إعادة النشأة في الخلق، وذلك على نحو لا يدع مجالاً لإنكار قيام البعث؛ حيث تم فيهما قياس الغائب على الشاهد، وهذين الشاهدين هما:

١-ظاهرة خلق النار من الشجر الأخضر .

لقد جعل القرآن الكريم من ظاهرة خلق النار من الشجر الأخضر شاهداً حسياً على قدرة الله تعالى إلى إحياء الموتى وبعثه؛ فقال تعال ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ﴾[١]. وقد كان هذا هو أحد مواطن الاستدلال على البعث عند الإمام الأشعري، فقال: " قال تعالى ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم .....﴾ فجعل ظهور النار على حرها ويبسها من الشجر الأخضر على نداوته ورطوبته دليلاً على جواز خلقه الحياة في الرمة البالية والعظام النخرة، وعلى قدرته على خلق مثله "[٢].

٢-ظاهرة أفول الكواكب والقمر وإعادة بزوغها.

إن ظاهرة أفول الكواكب والقمر وإعادة بزوغها كانت الشاهد الحسي الثاني الذي ارتكز عليه الإمام الإشعري في استدلاله ومقارعته منكري البعث، فقال: " فإن قال قائل: زيدوني وضوحاً في صحة النظر . قيل له: قول الله تعالى مخبراً عن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لما رأى الكوكب : ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأَفِلِينَ ٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [٣] فجمع عَلَيْهِ السَّلَامُ القمر والكواكب في أنه لا يجوز أن يكون واحد

---

(١) يس، الآية (٨٠).
(٢) اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، ص ٢١،٢٢.
(٣) الأنعام، الآيتان (٧٦،٧٧).

منهما إلهاً ربا لاجتماعهما في الأفول، وهذا هو النظر والاستدلال الذي ينكره المنكرون وينحرف عنه المنحرفون "(١).

ثانيا: اللمحات الدعوية المستفادة من توظيف الشاهد الحسي في خلق النار من الشجر الأخضر وأفول القمر والكواكب في إثبات وقوع (البعث).

(أ) البعث في القرآن الكريم بين دواعي الإيمان به وإنكار وقوعه عند البشر.

لقد بيَّن القرآن الكريم أن الإنسان على مر الدهور كان يشغله معرفة سر الحياة في الكون، ومحاولة فهم سر قدرة الله ﷻ على إحياء الموتى، ومن الشواهد القرآنية الدالة على ذلك، موقف نبي الله إبراهيم عليه السلام وكذلك الرجل الذي دخل القرية المذكور في الآية الكريمة، ذلك الرجل الذي تسآءل عن كيفية إحياء الله موتى هذه القرية.

فسيدنا إبراهيم عليه السلام حكى عنه القرآن الكريم موقفه من البعث في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(٢).

وعن موقف الرجل الذي دخل القرية، وأخذ يتسآءل عن كيفية الإعادة والنشأة لموتى القرية. قال تعالى: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾(٣).

---

(٤) اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، ص ٢٢، ٢٣.
(١) البقرة، الآية (٢٦٠).
(٢) البقرة، الآية (٢٥٩).

ولنتأمل هنا الحكمة في بيان القرآن الكريم أن اطمئنان نبي الله إبراهيم عليه السلام لإدراك حقيقة قدرة الله على إحياء الموتى استغرق مدة من الزمن، كان مقدارها تبعثر أجزاء الطيور الأربعة بعد موتها، وتجمعها ثانية بعد الإحياء، بينما استغرق اطمئنان رجل القرية لفهم هذه الحقيقة أن أماته الله مائة عام ثم بعثه، أي أنه كلما قويت عزيمة المؤمن، كلما كان فهمه لحقائق الإيمان أسرع تحصيلاً .

وعند عجز الإنسان عن إدراك سر القدرة الإلهية في إحياء الموتى، فقد يقع منه أحد الأمور الآتية:

١.إما إن يسترشد بهدي الأنبياء والرسل ــعليهم السلام ــ ، فيسلم أمره لخالقه ﷻ القادر على إحياءه بعد الموت كما خلقه أول مرة من العدم، ويدرك أن الدنيا ليست نهاية مطاف وجوده، وعليه يكون موقفه أن يقول ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (١).

٢.أو أن يصبغ تصوراته العقلية المختلفة عن العالم الآخر بصبغة دينية، كشأن حال كثير من الحضارات القديمة التي أخذت تتخيل العالم الآخر بعد الموت حسب أهوائها؛ حيث الاعتقاد بأن حال الإنسان في العالم الآخر لا يختلف كثيراً عن حاله في عالم الدنيا، من ذلك، " ما كان يفعله المصريون القدماء من تقديم الطعام والكساء وما يلزم (الروح) من خدمات في المقابر بعد موت الجسد، بل من أجل هذا كانت تعد في بعض المقابر الملكية دورات مياه لتنتفع بها (الروح) بعد فراق الجسد، كما كان من العادات البدائية عادة دفن أسلحة المحارب مع جثته، أو الأخذ بنظام كان يتبعه الهنود وهو دفن زوجات الرجل وعبيده معه لكي يقوموا على خدمته وقضاء حاجاته بعد موته في مقبرته" (٢).

---

(٣) البقرة، الآية (٢٨٥).

(١) قصة الحضارة، ج١ ـ ١/٢ ، مصدر سابق ص٧٠،٧١.

وقد بدَّد الإسلام مثل هذه الأوهام والتخيلات، حينما بيَّن القرآن الكريم أن ميزان الحساب في الآخرة لا يفرق بين غني وفقير، وأنه لا ينفع الإنسان في آخرته إلا عمله الصالح في الدنيا، قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ (١).

٣.أو أن يجحد مطلقاً (البعث والنشور) وهم الدهرية الذين حكى عنهم القرآن الكريم قولهم في البعث في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ۝٢٤﴾ (٢) **، أي " قصراً ـــــ منهم ــ للحياة والموت على تركب الأجساد وتحللها في الطبيعة. فالجامع هو الطبائع المحسوسة، والمهلك هو الدهر "** (٣).

٤. أو أن ينكر البعث مطلقاً لعدم قبول عقله لمنطق الحساب والجزاء على ما اقترفته يداه من أعمالٍ في الدنيا، وفي شأن هؤلاء الصنف من الناس، قال تعالى﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (٤).

٥. أو أن ينكر البعث بدافع الغرور في متاع الدنيا، والحرص عليه، وعدم قبول فكرة صيرورته إلى زوال، وذلك كحال الرجل الذي دخل جنته وهو ظالم لنفسه، قال تعالى حكاية عنه: ﴿۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ۝٣٢ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ۝٣٣ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ ۚ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ۝٣٤ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ

---

(٢) الزلزلة، الآيات (٦:٨).
(٣) الجاثية، الآية (٢٤).
(٤) يُنظر: الملل والنحل للشهرستاني، مصدر سابق، ج٣ ص٧٩.
(٥) التغابن ، الآية (٧).

لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ٣٥ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا ٣٦﴾[١].

ويُلاحظ هنا أن صاحب الجنة هذا المنكر لقيام الساعة قد ظهر عليه كذلك ملامح أوهام الشعوب القديمة عن العالم الآخر بعد الموت، وهو أن حال الإنسان في الآخرة أقرب إلى حاله في الدنيا؛ حيث قال تعالى حكاية عنه: ﴿ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا﴾.

٦. أو أن ينكر الإنسان يوم القيامة بالجملة للتحلل من كل القيم التشريعية والأخلاقية كبعض الفرق من غلاة الروافض[٢] " الذين أنكروا القيامة [والجنة والنار] وعليه أسقطوا فروض العبادات وقالوا: إن الفرائض والشريعة كناية عن الأئمة الذين أُمِرْنا باتباعهم وموالاتهم من أهل البيت. وأباحوا المحرمات كلها، وزعموا أن المحرمات المذكورة في القرآن كناية عن قوم أُمِرْنا ببغضهم من النواصب كأبي بكر وعمر " [٣].

والمتأمل في هذه المواقف من منكري البعث يجد أن الوقوع في أسر عالم (المادة) هو الدافع لإنكارهم، ولذلك كانت قضية البعث والإيمان باليوم الآخر قضية عقدية محورية في القرآن والسنَّة. لبيان أنه ركن من أركان الإيمان، قال تعالى: ﴿ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾[٤]، والإيمان بما في هذا اليوم من حساب وجنة

---

(٦) الكهف، الآيات (٣٢:٣٦).

(١) الرافضة: هي تلك الطائفة من الشيعة التي تعتقد بأحقية أهل البيت في الإمامة على باقي الصحابة ، بمن فيهم الشيخان - رضي الله عنهما - ، وقد أطلق عليهم هذا الاسم بعد رفضهم إمامة زيد بن علي وتفرقهم عنه لعدم موافقتهم على أفكارهم ، للمزيد أنظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، دار الندوة العالمية (الرياض) ط٥، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م ، ج٢ ص١٠٥٩.

(٢) أصول الدين للإمام أبي منصور عبدالقاهر البغدادي، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية (بيروت) ط١ ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص٢٥٨.

(٣) البقرة، الآية (١٧٧).

ونار ... إلخ، إنما هو في الأصل أمر عقديٌ نابع من الإيمان بأن الله ﷻ هو وحده القادر على إيجاد الخلق من عدم ، فكما أنشأ ﷻ بقدرته الخلق بدايةً على غير مثال سبق، فهو كذلك ﷻ قادر على إماتتهم، وحينئذ يُرد كل جزء إلى عالمه، فتُرد الروح إلى عالم الروح، ويعود الجسد إلى التراب، ثم إنه ﷻ قادر على بعثهم وإحيائهم بعد إماتتهم كما بدأ خلقهم أول مرة، قال تعالى﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ (١). وقال تعالى﴿ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾ (٢). وقال تعالى﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ ﴾ (٣) وقال تعالى﴿ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ (٤). وقال النبي ﷺ: (يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين وراهبين، واثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير ، عشرة على بعير ، ويحشر بقيتهمُ النار تقيلُ معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسى معهم حيث أمسوا) (٥).

(ب) الإيمان بالبعث في ضوء ظاهرتي خلق النار من الشجر الأخضر ، وأفول الكواكب والقمر.

١. الإيمان بالبعث في ضوء ظاهرة خلق النار من الشجر الأخضر.

إن الإيمان بالبعث أمر غيبي، أي أنه من قبيل السمعيات التي يكون موقف المؤمن منها أن يقول: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ﴾ ؛ إذ أن مصدرها الوحي، لكن لما كان الإيمان بعالم (المادة) هو دافع إنكار البعث عند منكريه، أخذ القرآن الكريم

---

(٤) الأنبياء، الآية (١٠٤).
(٥) الروم، الآية (١١).
(٦) الروم، الآية (٢٧).
(٧) النجم، (الآية (٤٧).
(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه، ك / الرقاق ، ب / الحشر ، ٤٥/٨١ ، رقم ٦٥٢٢. تحقيق: محب الدين الخطيب، ضبط: محمد فؤاد عبدالباقي، المطبعة السلفية (القاهرة) ، ط١ ١٤٠٠هـ ، ج٤ ص١٩٥.

يسوق للعقل الإنساني الشواهد الحسية القريبة من الأفهام والتي يحصل عند مقابلتها ببعض الجوانب العقدية السمعية كالإيمان بالبعث الإذعان لوقوعها، خاصة وأن هذه الشواهد تكون في أحيان قابلة للدراسة العلمية ليتحقق المقصد الإيماني المرجو من معرفة شيء من حقيقتها.

لقد ساق القرآن الكريم لمنكري البعث الحجة عليهم من جنس ما سيكون عقاباً لهم في الآخرة على جحودهم وكفرهم بالله واليوم الآخر، وهو (النار)، قال تعالى : ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾[١]. لذلك قارب القرآن لأفهام البشر حقيقة وقوع البعث وإحياء الموتى بشواهد عديدة هي في الحقيقة شواهد حسية تجتمع فيها أسباب الموت والحياة، وكانت نقطة الانطلاق من (الأرض) الأم التي خُلقوا منها جميعاً، فقال تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٢]، فبالماء تتحول الأرض الميتة إلى أرض حية بالنبات والشجر، ثم بيَّن القرآن الكريم أن الشجر الأخضر يكون منبعاً لخلق (النار)، فقال تعالى:﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾[٣]، وقال تعالى ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ۝٧١ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ۝٧٢﴾[٤].

النار: هي الحرارة والضوء المنبعثتان من المواد المشتعلة [٥]، والحرارة والضوء ينتجان عن الاحتراق، و " الاحتراق: تفاعل كيميائي ينتج عنه حرارة وضوء " [٦].

---

(٢) فصلت ، الآية (١٩).
(٣) فصلت ، الآية (٣٩).
(٤) يس، الآية (٨٠).
(٥) الواقعة،، الآيتان (٧١،٧٢).
(١) الموسوعة العربية العالمية، مصدر سابق، ج٢٥، ص٢٥.
(٢) المصدر نفسه ج٢٤٠/١.

إذاً تتضمن الآية الكريمة في قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارًا ﴾ الإشارة إلى إحداث تفاعلاتٍ كيميائية في الشجر الأخضر يتولد عنها (النار)، ودلالةُ تَولُّدِ هذه النار من الشجر الأخضر على البعث كما هو وارد في الآية يشير إلى تضمنها أوجهاً من الإعجاز البلاغي والعلمي، وذلك في ضوء ما جاء حولها من أقوال المفسرين والدراسات العلمية، وبيان هذه الأوجه على النحو الآتي:

١. إن هذه الآية الكريمة تشير بوضوح إلى قدرة الله تعالى الذي يمنح خلقه بقدرته ﷻ الحياة من العدم، فالنار احتراقٌ، والاحتراق عدمٌ، لكنه عدمٌ تتولد عنه الطاقة اللازمة لحياة البشر من الحرارة والضوء، وهو ما يتحقق فيه قوله تعالى ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم﴾، وقوله تعالى﴿فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ﴾، قال أبو السعود[١]: " قوله تعالى ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم﴾، أي خلق لأجلكم ومنفعتكم منه ناراً على أن الجعل إبداعيٌ "[٢]، وفي دلالة ذلك على (البعث): فإن الآية الكريمة تدل على قدرة الله تعالى في تولُّد الحياة من العدم (أي الموت)، كمنحه ﷻ البشر نعمة توَّلد الطاقة اللازمة للحياة من احتراق الشجر بالنار.

٢. تتضمن الآية الكريمة قياساً للغائب على الشاهد، واستدلالاً على قدرة الله على بعث الموتى من بعث الحرارة في الشجر الأخضر ذو الماء الرطب، وهما عنصران كيميائيان بينهما تضاد، فالآية تشير إلى أن علاقة النار

---

(٣) أبو السعود (٨٩٨ ـ ٩٨٢هـ) محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، المولى أبو السعود: مفسر، من علماء الترك المستعربين، ولد بالقرب من القسطنطينية، تقلد القضاء ثم الإفتاء سنة ٩٥٢هـ وكان حاضر الذهن سريع البديهة، وهو صاحب التفسير المعروف باسمه وقد سماه « إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم » ، ومن كتبه أيضا « تحفة الطلاب »، أنظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد، تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط ـ محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير (دمشق ـ بيروت) ط١ ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ج٨، ص٣٩٨.

(٤) تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي(بيروت) ، د ت، ج٧، ص١٨٢.

بالشجر تشبه علاقة أعضاء الجسد ببعضها، فلا تنفصل كينونة النار عن الشجر الأخضر؛ حيث اجتماع الموت والحياة، وكما لا يحول شيء دون قدرة الله تعالى في نفخ النار في الشجر الأخضر رغم وجود عنصر كيميائي مضاد وهو الماء الرطب، كذلك لا يوجد استحالة في خلق الحرارة في جسد الميت وبعثه بعد موته رغم وجود عنصر مضادٍ وهو (الموت)، فانبعاث الحياة في عظام الأموات أمر غير محالٍ على الله تعالى كما هو غير محال عليه – تعالى – انبعاث النار من الشجر الأخضر ذو الماء الرطب؛ لأنه ﷻ الخالق للاثنين، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

يقول البقاعي(١): " فالذي قدر على تمييز النار من الماء والخشب وخبء النار فيهما، لا النار تعدو على الخشب فتحرقه، ولا الماء يعدو على النار فيطفئها قادرٌ على تمييز تراب العظام من تراب غيرها، ونفخ الروح فيها كما نفخ النار في الحطب المضاد له بالمائية"(٢).

وقال الفخر الرازي: قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ ووجهه هو أن الإنسان مشتمل على جسم يحس به وحياة سارية فيه، وهي كحرارة جارية فيه فإن استبعدتم وجود حرارة وحياة فيه فلا تستبعدوه، فإن النار في الشجر الأخضر الذي يقطر منه الماء أعجب وأغرب وأنتم تحضرون حيث منه توقدون"(٣).

---

(١) البقاعي: نسبة إلى بلد بالشام، ينسب إليه جماعة أشهرهم الإمام المفسر إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي أبو الحسن برهان الدين، من أهل القرن التاسع له عدة مؤلفات ولد سنة ٨٠٩ وتوفي سنة ٨٨٥، أنظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع لشمس الدين السخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة (بيروت ـ لبنان) د . ت، ج١ ص١٠١.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين البقاعي، دار الكتاب الإسلامي (القاهرة) د . ت، ج١٦ ص١٨٢.

(٣) تفسير الفخر الرازي ، مصدر سابق، ج٢٦/ص١١٠.

وقال الرازي كذلك: " قوله تعالى : ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ في قوله ﴿تَذْكِرَةً﴾ وجهان (أحدهما) تذكرة لنار يوم القيامة فيجب على العاقل أن يخشى الله تعالى وعذابه إذا رأى النار الموقدة (وثانيهما) تذكرة بصحة البعث؛ لأن من قدر على إبداع النار في الشجر الأخضر لا يعجز عن إبداع الحرارة الغريزية في بدن الميت وقد ذكرناه في تفسير قوله تعالى﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا ...﴾ " [(١)].

وإذا كان الرازي قد شبَّه علاقة النار بالشجر الأخضر بالعلاقة العضوية في الجسد، فإن الآلوسي يرى أن إيقاد النار إنما يحصل في الشجر لوجود عوامل كيميائية تكون سبباً في إيقاد النار، وهو تحول الشجر إلى مادة صلبة مؤكسدة بحيث تكون قابلة للاشتعال، فيقول : " أشار سبحانه بقوله تعالى﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا ...﴾ إلى أن من قدر على إحداث النار من الشجر الأخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها بكيفيته فإن الماء بارد رطب والنار حارة يابسة كان جل وعلا أقدر على إعادة الغضاضة إلى ما كان غضا فيبس وبلى، ثم إن هذه النار يخلقها الله تعالى عند سحق إحدى الشجرتين على الأخرى لا أن هناك ناراً كامنة تخرج بالسحق" [(٢)]، أي أن الآلوسي يحيل العقل إلى معرفة الأسباب في خلق النار من الشجر الأخضر؛ لأن الأسباب تهدي إلى خالقها جلا وعلا.

٣. إن قياس الاستدلال على تولد الحياة بعد الموت (أي البعث) من الموت بتولد (النار) من الشجر الأخضر في الآية الكريمة، إنما جاء في سياق البيان لدورة الحياة على الأرض من إعادة النشأة مرة أخرى بقدرة الله الواحد

---

(٤) المصدر نفسه، ج٢٩/ ص١٨٥.

(١) روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى ، للعلامة أبى الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسى البغدادى ، دار إحياء التراث العربى (بيروت) ، د ٠ ت ج٢٣، ص٥٦.

الأحد خالق السماوات والأرض وما فيهن؛ حيث الإشارة إلى إعادة تولد الطاقة اللازمة للحياة من احتراق الشجر الذي يعود سبب نشأته في الأرض إلى عناصر أربعة، وهي: (الطاقة الشمسية ــ الماء ــ ثاني أوكسيد الكربون ــ الأوكسجين) ، وهو ما أطلق عليه علماء العلم الحديث بقانون (بقاء الطاقة).

وتوضيح هذا القانون بصورة موجزة كما جاء في بحوث المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة (١٤٣٢هـ/٢٠١١م) على النحو الآتي:

لقد أثبت العلم أن نمو النبات يحتاج إلى كل من الطاقة الضوئية والطاقة الحرارية، فالنباتات تتأثر بعاملين هما درجات الحرارة وتغير طول النهار ، وتتابع الفصول المناخية من الفصل البارد ذات النهار القصير إلى الفصل الدافيء ذات النهار الطويل له تأثير كبير على الحالة المظهرية phenology للنباتات. كما أن درجة الحرارة تؤثر على النضج السليم والطعم الممتاز للثمار نتيجة تعرضها لدرجات حرارة منخفضة خصوصاً أثناء الليل، وهو ما يشير إلى أهمية تعاقب الليل والنهار في عملية الإنبات، وصدق الله العظيم حين قال:﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورًا﴾ (١).

وقد اكتشف العلم الحديث في عام ١٧٧٩م عملية التمثيل الضوئي في إنبات النبات، والتي كان قد أشار إليها القرآن الكريم قبل ظهور هذه النظرية باثني عشر قرن من الزمان، وبيَّن أن العنصر الأول بل الأهم في عملية التمثيل الضوئي هو (الماء) الذي تنبت به البذور وتخرج أجنة النباتات إلى الحياة، وينتقل النبات إلى مرحلة البادرة التي تظهر أجزاؤها الهوائية الخضراء المكوَّنة من ساق يحمل أوراقاً في خلاياها تنشأ البلاستيدات الخضراء

(٢) الفرقان، الآية (٦٢).

الحاملة للأصباغ الخضراء (الكلورفيل) والأصباغ المساعدة المختصة باقتناص الطاقة الضوئية من أشعة الشمس والمستخدمة في تفاعل الماء مع غاز ثاني أوكسيد الكربون لتكوين السكريات، وبذلك تتحول الطاقة الضوئية إلى طاقة كيميائية (السكاكر).

وعناصر التمثيل الضوئي هذه موجودة في السماء القريبة والبعيدة، ويعطينا القرآن الكريم هذه الحقيقة في قوله تعالى﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ﴾[١]. ففي السماء توجد الطاقة الشمسية وثاني أوكسيد الكربون والماء، ثم إن الطاقة الضوئية التي تتحول إلى طاقة كيميائية تتحول في النظام الحيوي إلى (طاقة حرارية) أثناء تنفس الأوكسجين بواسطة الكائنات الحية (أو الاحتراق)، وبذلك يتضح أن الطاقة تنتقل من صورة إلى أخرى حسب قانون بقاء الطاقة الذي يؤكد أن الطاقة لا تفنى ولا تستحدث، وإنما تتحول من صورة إلى أخرى، وصدق الله العظيم حيث قال: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ﴾[٢].

إذاً عملية احتراق النار من الشجر الأخضر هي العودة لنقطة البداية في نظام نشأة هذا الشجر في الأرض، والقادر على هذه الإعادة في الخلق هو الله تعالى، واحتراق النار من الشجر الأخضر في ظاهره (عدمٌ)، لكنه في الحقيقة (إيجادٌ)؛ لأنه مصدر الحياة للكائنات على الأرض، ففيه إذاً معنى الإيجاد، وصدق الله العظيم القائل ﴿فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ﴾.

قال البقاعي: " قوله ﴿تُوقِدُونَ﴾ أي توجدون الإيقاد . ويتجدد لكم ذلك مرة بعد أخرى، ما هو بخيال ولا سحر بل حقيقة ثابتة بيَّنة " [٣] .

لقد شاءت إرادة الله تعالى أنْ خلق هذا الكون وجعل نظامه خاضعاً لقوانين يستطيع البشر من خلال معرفتها الاستدلال على الغائب بإدراك حقيقة الشاهد فيه؛ إذ الإنسان عاجز عن أن تطال يده معرفة كل شيء في الوجود، ولكن

---

(١) الذاريات، الآية (٢٢).
(٢) يس، الآية (٨٠).
(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، مصدر سابق ج ١٦/ ص ١٨٢.

بخضوع الطبيعة لقوانين لا فوضى فيها، فإن ذلك يمكِّنهُ من قياس الغائب على الشاهد ليصل إلى مرحلة الإيمان بعالم الغيب، وهذا هو منهج القرآن الكريم في الاستدلال على العقائد الإيمانية، كالإيمان بالبعث؛ حيث قياس الاستدلال على الغائب في إعادة نفخ الروح في العظام النخرة على الشاهد في إعادة خلق النار من الشجر الأخضر في قوله تعالى﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا﴾. فالآية الكريمة تدل في شاهد حسي على قدرة الله تعالى على إحياء الموتى يوم القيامة ونفخ الروح في العظام البالية بعد تمييزها عن بعضها بعد اختلاطها في التراب، كقدرته تعالى على خلق طاقة الاحتراق وتمييز ها عن الماء الرطب في الشجر الأخضر.

وإذا حاول جاحدٌ أن يُرجع ظاهرة احتراق النار إلى أسباب كيميائية تخضع لقوانين المصادفة في الطبيعة، فإني أحيله إلى ما قرره عالم الكيمياء الأمريكي (جون أدولف بوهلر) الذي ذهب بعد دراسة طويلة في كيمياء الطبيعة إلى أن قال : " تدل الشواهد على وحدة الكون من الوجهة الكيميوية . ولدينا من الطرق والوسائل ما يمكننا من اختبار كثير من العناصر الموجودة في الكواكب الأخرى، ومعرفة أنها هي نفس العناصر التي توجد على الأرض . وحتى النجوم البعيدة عنا، فإنها تشتمل على عناصر مشابهة لعناصر الأرض. ويعتقد العلماء أن القوانين الطبيعية التي تتحكم في هذا الكوكب هي عينها القوانين التي تخضع لها النجوم والكواكب الأخرى في أفلاكها النائية المترامية في الفضاء . فحيثما اتجهنا نجد الإبداع والنظام والتوافق، حتى لم يبق هنالك ظل من شك عندي في أن إلهاً قادراً قد أبدع هذا الكون وبناه وحدد وجهته وغايته ... ومن الأمثلة التي تدل على روعة الإبداع وجلال النظام، دورة الماء على الأرض ودورة ثاني أوكسيد الكربون ودورة النوشادر ودورة الأكسجين التي تشهد كل منها بحكمة وتدبير وقوة لا حد لها "[١].

(١) الله يتجلى في عصر العلم، تأليف نخبة من العلماء الأمريكيين، ترجمة: الدكتور الدمرداش عبدالمجيد سرحان، دار القليم (بيروت ـ لبنان)، د ت ص ١٠٨.

٢.الاستدلال على قيام البعث بحدوث ظاهرة أفول الكواكب والقمر.

إن الشاهد الحسي الثاني الذي ساقه الإمام الأشعري للاستدلال النظري على قدرة الله تعالى على البعث هي ظاهرة (أفول الكواكب والقمر)، فقال: " فإن قال قائل: زيدوني وضوحاً في صحة النظر . قيل له: قول الله تعالى مخبراً عن إبراهيم عليه السلام لما رأى الكوكب : ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ....الآيات﴾ **فجمع عليه السلام القمر والكواكب في أنه لا يجوز أن يكون واحد منهما إلهاً ربا لاجتماعهما في الأفول، وهذا هو النظر والاستدلال الذي ينكره المنكرون وينحرف عنه المنحرفون "**[١].

إن موطن الشاهد في الاستدلال النظري هنا يكمن في ظاهرتي (البزوغ والأفول) اللتان تعتريان القمر والكواكب، وهي ظواهر كونية موجودة في فضاء سماء الدنيا، وقد وصفها القرآن الكريم بالأجسام التي تسطع وتبزغ بالنور الذي تتزين به السماء، قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾[٢]، **وقال تعالى:**﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾ [٣]، **وطبقاً لما جاء عند بعض المفسرين حول ظاهرة (الأفول) في قوله** ﴿لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾، **فإن الآية الكريمة فيها استدلالان، وهما:**

١. الاستدلال الأول: هو أن (الأفول) دليل الحدوث، ومعناه وجود الشيء من عدم[٤]**، بمعنى أن أفول القمر والكواكب دليل على أنها من مخلوقات الله تعالى؛ لأن الأفول خَلْقٌ يتجدد فيها، ومن ثمَّ لا يصح وصفها بالألوهية، وهو ما جعله نبي الله إبراهيم عليه السلام مقصد إثباته فيما قال تعالى:** ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾.

---

(١) اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، ص ٢٢،٢٣.
(٢) يونس، الآية (٥).
(٣) الصافات، الآية (٦).
(٤) لمعرفة المزيد من التفاصيل حول دليل الحدوث، أنظر: شرح العقيدة الوسطى، مصدر سابق ص٧٤.

ويؤيد هذا الوجه ما جاء في تفسير (اللباب في علوم الكتاب): " أن الطلوع والأفول يشتركان في الدلالة على الحدوث، إلا أن الدليل الذي يحتج به الأنبياء في معرض دعوة الخلق كلهم إلى الله لابد وأن يكون ظاهراً، بحيث يشترك في فهمه الذكي والغبي، والعاقل والغافل، ودلالة الحركة على الحدوث وإن كانت يقينية إلا أنها دقيقة لا يعرفها إلا الأفاضل من الخلق، أما دلالة الأفول على هذا المقصود، فإنها ظاهرة يعرفها كل أحد، فإن الآفل يزول سلطانه وقت الأفول، فكانت دلالة الأفول على هذا المقصود أتم، وأيضا فيحتمل أنه إنما استدل بالأفول من حيث إن الأفول غيبوبة، فإن الإله المعبود العالم العادل لا يغيب، ولهذا استدل [نبي الله إبراهيم عليه السلام] بظهور الكواكب، وبزوغ القمر والشمس على الإلهية، واستدل بأفولهم على عدم الإلهية "(١).

٢. الاستدلال الثاني: هو أن (الأفول) دليل الحاجة إلى إعادة الظهور والسطوع، فالقمر والكواكب تحتاج إلى من يُعيد ظهورها بعد الأفول؛ لأنها ظواهر كونية عاجزة عن أن تمد نفسها بخصائص جسمانية تكون سبباً في إعادة سطوعها بعد مغيبها، وهو وجه من وجوه استدلال نبي الله إبراهيم عليه السلام على عدم صحة ادعاء ألوهية هذه الظواهر الكونية بعدما أدرك حقيقتها في عالم الملكوت الذي آراهُ إياه الله عز وجل كما قال تعالى:﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾ (٢).

فقد علم إبراهيم عليه السلام بعد هذا الفتح الرباني له في عالم الملكوت أن هذه الظواهر الكونية إنما هي بحاجة إلى خالقها وهو الله تعالى الذي يمدها بالخصائص الجسمانية التي تكون سبباً في خلق سطوعها بعد الأفول الذي يعتريها دوماً باختلاف الليل والنهار، فالأفول مغيبٌ، والسطوع بعثٌ لها من الأفول، والله عز وجل هو من يمدُ الشمس والقمر الكواكب بأسباب هذا السطوع.

---

(٥) اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص عمر بن علي الدمشقي الحنبلي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود وغيره، دار الكتب العلمية (بيروت ـ لبنان) ط١ ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ج ٨ ص٢٤٧.

(١) الأنعام، الآية (٧٥).

ويؤيد هذا الوجه ما جاء في تفسير (تبصير الرحمن وتيسير المنان): " قوله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ ليعلم أن شيئاً من روحانيات الأفلاك والكواكب والشياطين لا يصلح للإلهية ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾ بالتوحيد بالاستدلال بالأدلة الكثيرة وبالسماع من تلك الأرواح، ولما رأى الملكوت وأيقن أن شيئاً منها لا يصلح للإلهية أراد الرد على قومه في اعتقاد إلهيتها لخستها باعتبار افتقارها في أفعالها إلى أجسام لها دناءة (الأفول) وإن كانت علوية، وكذا في اعتقاد إلهية تلك الأجسام، كما رد عليهم في اعتقاد إلهية الأصنام فلتظهرَ ظهور الكواكب التي كانوا يعبدونها "[١].

وعليه يَبرزُ في هذا الاستدلال الثاني وجه محاَّجة منكري البعث على وقوعه بحدوث ظاهرتي أفول القمر والكواكب وإعادة بزوغها؛ لأن الله ﷻ كما دلَّل على قدرته ﷻ على بعث الموتى وحشرهم يوم القيامة بنفخ النار في الشجر الأخضر في قوله تعالى ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا﴾، فإن سطوع القمر والكواكب بعد أفولها فيه دليلٌ كذلك على قدرته ﷻ على بعث الموتى وإحياءهم؛ حيث نفخ النور فيها لتبزغ ثانيةً بعد الأفول، وهي الأجسام المعتمة بذاتها، كما أثبته الإعجاز العلمي في تفسير قوله تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا﴾.

فإن النتائج العلمية تقول: " إن الضوء هو ما يصدر عن جسم ملتهب بذاته مشتعلاً، أو هو مصدر للطاقة ضوءاً وحرارةً، أما النور فإنه الأشعة المنعكسة من أي جسم بارد يسقط عليه شعاع الضوء فيعكسه نوراً. وهذه هي الصورة الأعجازية في هذه الآية الكريمة؛ حيث وصف ضوء الشمس بأنه ضياء وأما القمر فقد وصف ما يصدر عنه بأنه نور، وهذا تماماً الحقيقة العلمية بأن الشمس هي فرن نووي مليء بالطاقات النووية وأن القمر هو

---

(٢) تفسير القرآن المسمى تبصيرالرحمن وتيسير المنان، للشيخ علي بن أحمد بن إبراهيم المهايمي، طبعة بولاق (مصر) د ت، ج١ ص٢٢٥.

كوكب بارد يعكس أشعة الشمس من على سطحه فيكون ما صدر عنه نوراً "[١].

الخلاصة:

إنه في نهاية بيان هذه اللمحات الدعوية المتعلقة بإثبات وجوب الإيمان بالبعث ووقوعه، تبيَّن أن الآيتان الكريمتان في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ﴾[٢]. وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾[٣]، فيهما وجه استدلال متقارب على قدرة الله تعالى على بعث الموتى، وإبطال حجة منكري وقوعه؛ ذلك أن الآية الكريمة في قوله تعالى ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا﴾ترد على منكري البعث ببيان قدرة الله تعالى على نفخ النار في الشجر الأخضر، بينما يدل قوله تعالى ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾ بحدوث ظاهرة البزوغ للقمر بعد الأفول على نفخ النور فيه، إذ تبيَّن أنه جسم معتم يمتص الضوء المُتَولِد من الشمس فيعكسه نوراً، وعليه فإن الله ــ تعالى ــ لا يعجزه نفخ الروح في الأجساد الميتة والعظام البالية وحشرها.

وهذا الربط الدعوي بين الآيتين يؤكد حقيقة تضافر الكثير من الآيات القرآنية الكونية التي تُهيأ أسباب فهمها لحواس البشر لإثبات كثير من الحقائق الإيمانية؛ حيث قياس الغائب وهو (البعث) على الشاهد وهو (نفخ النار في الشجر الأخضر، والنور في القمر).

---

(١) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (في مجال الآفاق)، محمد كرم الله حسن الظواهري، دار الفوائد (القاهرة) ، ط١ ١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م، ص٥٨٤.
(٢) يس، الآية (٨٠).
(٣) الأنعام، الآيتان (٧٧).

الخاتمة:

أولا: نتائج البحث:

في نهاية هذا البحث بحمد الله تعالى وتوفيقه توصلت إلى نتائج، من أهمها:

١. **أن الدعوة إلى الله ــ تعالى ــ والإيمان بوحدانيته والعبادة له ﷻ هي أسمى مقاصد العلوم الإسلامية الشرعية وتراثها، والمناهج الدعوية (العقلي ــ الحسي ــ العاطفي) هي لبُ مسلكها في إثبات هذا المقصد العقدي، وهو ما أثبته البحث من خلال استنباط الدلالات الدعوية المستفادة من المنهج الحسي الذي سلكه الإمام الأشعري في إثبات مقاصده الكلامية.**

٢. **نظراً لأن القرآن الكريم هو كتاب الله تعالى الذي أنزله هدايةً للخلق إلى التوحيد والإيمان بالله تعالى، فقد اقتضت الحكمة الإلهية في نزول آياته الإنسانية والكونية بأسلوب معجزٍ بليغٍ، لا يصطدم به العقل والحس والوجدان، ولا يُنافي الحقيقة مطلقاً في كافة العصور، خاصةً في حال إذا يسَّر الله ﷻ أن يكشف العلم ما في هذه الآيات من حقائق دالة على وجود الله تعالى ووحدانيته.**

٣. **أنه لا زال يرتبط ماضي الفكر المادي والإلحادي بحاضره، وشاهد ذلك استمرارهم في دعوى أزلية (المادة) رغم أن القرآن الكريم أعجزهم ببيان بطلان دعواهم هذه حينما بيَّن أن أصل خِلْقة الإنسان من (النطفة)، والتي أثبت العلم الحديث أنها بمثابة همزة الوصل في وجود الإنسان بين العدم والحياة، وبين المادة والروح.**

٤. أن كمال خَلْق الإنسان وتمام عقله إنما هو من كمال قدرة الله تعالى، القائل في محكم التنزيل: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [١] ، وليس على الإنسان سوى أن يؤمن إيماناً مطلقاً بأن الذي أحسن خلقه وأكمل عقله على ما هو عليه هو الله ﷻ صاحب الكمال المطلق في صفاته وأفعاله.

٥. أن الملكات الإدراكية والوجدانية التي يتمتع بها الإنسان تؤكد أنه ليس مجرد مادة تنتمي فقط للطبيعة المادية كما يدعي الماديون، بل هو جسد وروح، كما أنه لا يوجد علاقة تطورية بينه وبين القردة كما يدعي التطوريون، فهو مخلوقٌ كرَّمه خالقه ﷻ بأن أمده بهذه الملكات التي ميَّزته عن بقية المخلوقات.

٦. أن دوام حفظ نظام السماوات والأرض بمشيئة الله تعالى، واستمرار نفع البشرية بهذا الحفظ الإلهي دليلٌ على أن الله تعالى واحد لا شريك له في ملكه، بل إنه في دوام هذا النفع دليل على عناية الله تعالى بخلقه، ولذلك فهو ﷻ وحده المستحق للشكر والثناء من خلقه على هذه النعم، وعبادته وحده ﷻ؛ حيث لا شريك له في ملكه.

٧. يحُسن الترتيب في الاستدلال على القضايا العقدية وفق المنهج القرآني؛ حيث البدأ بالنظر والاستدلال في آيات النشأة الأولى للخلق، ثم يتبعه الاستدلال على الإعادة والبعث وما بينهما من ترابط في الاستدلال على قدرة الله تعالى على إحياء الموتى وبعثهم، ثم يأتي بينهما الحديث عن سمو المنهج الإلهي في الحياة بالنظر والاستدلال في آفاق النفس والكون على وحدانية الله تعالى؛ لأن الإيمان بوحدانية الله تعالى يتبعه استقامة حياة المؤمن عاجلاً ومآلاً.

---

(١) التين، الآية (٤).

٨. لقد جاء عرض القرآن الكريم لقضية (البعث) في إطار الإشارة لحقائق علمية من شأنها رفعُ توهم العقل الإنساني الجاحد لوقوعه عند فهمه سنن الله ــ تعالى ــ في الآفاق وفي الأنفس فهماً علمياً، والذي لا سبيل لرفض التسليم بنتائج هذه الحقائق سوى الجحود والإنكار والإلحاد فيها.

ثانيا: توصيات البحث:

١. على الدعاة إلى الله تعالى خوض مجال الدراسات البيَّنيَّة في العلوم الشرعية الإسلامية وتراثها، كعلمي الكلام وتفسير القرآن والسنَّة، وذلك لاستنباط محتواها الفكري ذي البعد المنهجي الدعوي، وإبرز أهمية تنقيح هذا التراث في الفكر الإسلامي المعاصر.
٢. ينبغي على الدعاة الاستمرارية في التوظيف الجيد للمنهج الحسي الدعوية لاستمرارية حاجة البشر للدعوة إلى الله ــ تعالى ــ ؛ إذ لا زالت تستمر في الظهور دعاوى الملحدين والمعاندين لقضايا الدعوة .
٣. إعداد برامج تثقيفية دعوية من شأنها حسن توجيه الباحثين لتطبيق منهج النظر والاستدلال في آيات القرآن الكريم في النفس والكون لمواجهة دعاوى الماديين والملحدين.

ثَبْت المصادر والمراجع باللغة العربيّة:

- **القرآن الكريم.**
- أساس البلاغة لأبي القاسم محمد بن عمر بن أحمد الزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية (بيروت) ط١ ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
- الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، د: علي عبدالواحد وافي، دار نهضة مصر، ط١ ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م .
- أصول الدين للإمام أبي منصور عبدالقاهر البغدادي، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية (بيروت) ط١ ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
- أصول البحث العلمى ومناهجه ، د. أحمد بدر ، وكالة المطبوعات عبدالله حرمى (الكويت) ، ط٦ ١٩٨٢م.
- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (في مجال الآفاق)، محمد كرم الله حسن الظواهري، دار الفوائد (القاهرة) ، ط١ ١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م.
- إعجاز القرآن وأسماء الله الحسنى، د. غسان حمدون، دار الفكر المعاصر (صنعاء) ط١ ١٤١٩هـ/١٩٩٩م .
- الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين) لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين (بيروت) ط١٥ مايو ٢٠٠٢م.
- الأنساب للسمعاني، دار الجنان (بيروت ــ لبنان) ط١ ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- الإنسان في الكون بين القرآن والعلم، د: عبدالعليم عبدالرحمن خضر، عالم المعرفة (جدة) ط١ ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- آيات الله في نشأة الحياة على الأرض وظهور الإنسان، الموسوعة الكونية الكبرى، مجموعة من الباحثين، المكتبة العصرية (صيدا ــ بيروت) ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
- تاريخ الإسلام للذهبي، تحقيق: د/عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي (بيروت ــ لبنان)، ط١ ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- تاريخ مدينة السلام للخطيب البغدادي، تحقيق: بشار عواد معروف ــ دار الغرب الإسلامي، ط١ ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
- التعريفات للعلامة السيد الشريف علي الجرجاني ، نسخة Pdf من إصدارات Googl.

- تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي(بيروت) ، د ت.
- تفسير أسماء الله الحسنى، لأبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دار المأمون (دمشق) ط٥ ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، تحقيق جمع من العلماء، دار الكتب العلمية (بيروت ــ لبنان) ط١ ١٤١٣هـ /١٩٩٣م .
- تفسير البغوي المسمى " معالم التنزيل" لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبدالله النمر، دار طيبة (الرياض) ١٤٠٩هـ .
- تفسير التحرير والتنوير للإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية (تونس) ط١ ١٩٨٤م.
- تفسير الطبري .. جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: د. عبدالله عبدالمحسن التركي، دار هجر (القاهرة) ط١ ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م .
- تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، للإمام فخر الدين الرازي، دار الفكر، ط١ ١٤٠١هـ/١٩٨١م .
- تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار أحياء الكتب العربي (عيسى البابي الحلبي وشركاه) ط١ ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م.
- تفسير القرآن المسمى تبصيرالرحمن وتيسير المنان، للشيخ علي بن أحمد بن إبراهيم المهايمي، طبعة بولاق (مصر) د ت.
- تكوين العقل الحديث، تأليف: جون هرمان راندال، ترجمة: جورج طعمه، دار الثقافة (بيروت) د ت .
- الجامع الصحيح للإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب، ضبط: محمد فؤاد عبدالباقي، المطبعة السلفية (القاهرة) ، ط١ ١٤٠٠هـ .
- الجامع الصحيح وهو سنن الإمام الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط٢ ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
- حاشية الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد ، دار السلام ط١ ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.
- الحكمة في مخلوقات الله للإمام أبي حامد الغزالي ، تحقيق: محمد رشيد قباني، دار إحياء العلوم (بيروت) ،ط١ ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

- حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، لعبدالرزاق البيطار، تحقيق: محمد بهجة البيطار، دار صادر (بيروت) ط٢ ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
- حياتنا وإن طالت ..علم دراسة طول العمر والشيخوخة، تأليف: جوناثان سيلفرتاون، ترجمة: سحر توفيق، سلسلة عالم المعرفة (المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـــ الكويت) عدد (٤٣٨) يوليو ٢٠١٦م .
- خلق الإنسان بين الطب والقرآن، د. محمد علي البار، الدار السعودية للنشر (الرياض) ط٤ ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى ، للعلامة أبى الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسى البغدادى ، دار إحياء التراث العربى (بيروت) ، د ٠ ت .
- سنن أبي داود، طبعة بيت الأفكار الدولية (الرياض) د ت.
- السنن الكبرى للإمام النسائي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة (بيروت) ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد، تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط ـــ محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير (دمشق ـ بيروت) ط١ ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- شرح صحيح مسلم للقاضي عياض المسمى إكمال المعلم بفوائد، تحقيق د: يحيى اسماعيل، دار الوفاء (القاهرة) ط١ ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م .
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع لشمس الدين السخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة (بيروت ـــ لبنان) د . ت.
- طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين السبكي، تحقيق: محمود محمد الطناحي ـــ عبدالفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية (مطبعة عيسى الحلبي وشركاه) ط١ ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م.
- عالم يفيض بسكانه، تأليف: سير روي كالن، ترجمة: ليلى الجبالي، سلسلة عالم المعرفة (المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـــ الكويت) عدد (٢١٣) سبتمبر ١٩٩٦م .
- عندما تغير العالم، تأليف: جيمس بيرك، ترجمة: ليلى الجبالى، عالم المعرفة (المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت)، عدد (١٨٥)، مايو ١٩٩٤م.
- الفرق بين الفرق لأبي منصور عبدالقاهر البغدادي، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الطلائع (القاهرة) ٢٠٠٩م.

- الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، د: عبدالوهاب المسيري، دار الفكر (دمشق) ط٤ ١٤٣١هـ/٢٠١٠م .
- قصة الحضارة ، ول ديورانت، ترجمة : زكي نجيب محمود، محمد بدران، مكتبة الأسرة ٢٠٠٣م.

- قضية المرأة بين التحرير والتمركز حول الأنثى (٥)، د: عبدالوهاب المسيري، مجلة الأزهر، شعبان ١٤٣٦هـ/يونيو٢٠١٥م ، الجزء (٨) السنة (٨٨).
- كتاب المقفى الكبير لتقى الدين المقريزي ، تحقيق/ محمد البعلاوي، دار الغرب الإسلامي ، ط١ ١٤١١هـ/١٩٩١م .
- كتاب الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي، تحقيق: أحمد الأرنأووط ــ تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي (بيروت ــ لبنان) ط١ ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
- اللباب في تهذيب الأنساب، لعز الدين ابن الأثير الجزري، مكتبة المثنى (بغداد) د ت .
- اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص عمر بن علي الدمشقي الحنبلي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود وغيره، دار الكتب العلمية (بيروت ــ لبنان) ط١ ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
- لسان العرب لابن منظور، دار صادر (بيروت) ط٦ ٢٠٠٨م.
- لغز الحضارة الفرعونية، د: سيد كريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٦م .
- اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع للإمام أبو الحسن الأشعري، قدم له وعلق عليه: د. حموده غرابه، مطبعة مصر ١٩٥٥م.
- الله يتجلى في عصر العلم، تأليف نخبة من العلماء الأمريكيين، ترجمة: الدكتور الدمرداش عبدالمجيد سرحان، دار القليم (بيروت ــ لبنان)، د ت.
- مجمل اللغة لأبي الحسين أحمد ابن فارس، تحقيق: زهير عبدالمحسن سلطان مؤسسة الرسالة (بيروت) ط٢ ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة (بيروت) ط٣ ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
- المسند للإمام أحمد بن حنبل ، شرح وتحقيق: حمزة أحمد الزين، دار الحديث (القاهرة) ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م .
- المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، د.عبدالمنعم الحفني، مكتبة مدبولي (القاهرة) ط٣ ٢٠٠٠م .

- المعجم الفلسفي ، د. جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني ١٩٨٢م.
- الملل والنحل لأبي محمد بن عبدالكريم الشهرستاني، تحقيق: أ. عبدالعزيز محمد الوكيل، الحلبي (القاهرة)، د ت .
- الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة (الرياض) ط٢ ١٩٩٩م.
- الموسوعة العلمية في الإعجاز القرآني، د: سمير عبدالحليم، مكتبة الأحباب (دمشق) ط١ ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م .
- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، للعلامة محمد علي التهانوي، تحقيق: د. علي دحروج، (مكتبة لبنان ناشرون)، ط١ ١٩٩٦م.
- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، دار الندوة العالمية (الرياض) ط٥، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م .
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين البقاعي، دار الكتاب الإسلامي (القاهرة) د . ت.

ثَبْت المصادر والمراجع باللغة الإنجليزيّة اللاتينيّة:

thabt almasadir walmarajie biallughat al'injlyzyt allatynyt:

• alquran alkarim.

• 'asas albalaghat li'abi alqasim muhamad bin eumar bin 'ahmad alzumakhshiri, tahqiqu: muhamad basil euyun alsuwdu, dar alkutub aleilmia (birut) ta1 1419hi/ 1999m.

• al'asfar almuqadasat fi al'adyan alsaabiqat lil'iislami, da: eali eabdalwahid wafi, dar nahdat masri, ta1 1384h / 1964m.

• 'usul aldiyn lil'iimam 'abi mansur eabdalqahir albaghdadii, tahqiqu: 'ahmad shams aldiyn, dar alkutub aleilmia (birut) ta1 1423h/2002m.

• 'usul albahth aleulmaa wamanahijuh , du. 'ahmad badr , wikalat almatbueat eabdallah harmaa (alkuayti) , ta6 1982m.

• al'iiejaz aleilmiu fi alquran alkarim (fi majal alafaqi), muhamad karam allah hasan alzawahiri, dar alfawayid (alqahirati) , tu1 1442h/2020m.

• 'iiejaz alquran wa'asma' allah alhusnaa, du. ghasaan hamdun, dar alfikr almueasir (sanea'a) ta1 1419h/1999m.

• al'aelam (qamus tarajim li'ashhur alrijal walnisa' min alearab walmustaeribin walmustashriqina) likhayr aldiyn alzarkali, dar aleilm lilmalayin (birut) ta15 mayu 2002m.

• al'ansab lilsimeani, dar aljinan (bayrut lubnan) ta1 1408h/1988m.

• al'iinsan fi alkawn bayn alquran waleilmi, da: eabdalealim eabdalrahman khadari, ealam almaerifa (jda) tu1 1403h/1983m.

• ayat allah fi nash'at alhayaat ealaa al'ard wazuhur al'iinsani, almawsueat alkawniat alkubraa, majmueat min albahithina, almaktabat aleasria (sayda bayrut) 1429h/2008m.

• tarikh al'iislam lildhahabi, tahqiqu: da/eamar eabdalsalam tadamuri, dar alkitaab alearabii (bayrut lubnan), ta1 1413h/1992m.

• tarikh madinat alsalam lilkhatib albaghdadii, tahqiqu: bashaar eawaad maeruf dar algharb al'iislami, ta1 1422h/2001m.

• altaerifat lilealamat alsayid alsharif ealiun aljirjani , nuskhat Pdf min 'iisdarat Googl.
• tafsir 'abi alsueud almusamaa 'iirshad aleaql alsalim 'iilaa mazaya alkitaab alkarim, dar 'iihya' alturath alearbi(birut) , d t.
• tafsir 'asma' allah alhusnaa, li'abi 'iishaq 'iibrahim bin alsiriyi alzujaji, tahqiqu: 'ahmad yusuf aldaqaaqi, dar almamun (dimashqa) tu5 1406h/1986m.
• tafsir albahr almuhit li'abi hayaan al'andalsi, tahqiq jame min aleulama'i, dar alkutub aleilmia (bayrut lubnan) ta1 1413h /1993m
• tafsir albaghawi almusamaa " maealim altanzili" li'abi muhamad alhusayn bin maseud albaghuay, tahqiqu: muhamad eabdallah alnamir, dar tiiba (alriyad) 1409h.
• tafsir altahrir waltanwir lil'iimam alshaykh muhamad altaahir abn eashur, aldaar altuwnusia (tunus) ta1 1984m.
• tafsir altabarii .. jamie albayan ean tawil ay alquran li'abi jaefar muhamad bin jarir altabri, tahqiqu: da. eabdallah eabdalmuhsin alturki, dar hijr (alqahirati) ta1 1422h/2001m.
• tafsir alfakhr alraazii almushtahar bialtafsir alkabir wamafatih alghib, lil'iimam fakhr aldiyn alraazi, dar alfikr, ta1 1401h/1981m.
• tafsir alqasimi almusamaa mahasin altaawili, limuhamad jamal aldiyn alqasimi, tahqiqu: muhamad fuad eabdalbaqi, dar 'ahya' alkutub alearabii (eisaa albabi alhalabi washarakahi) ta1 1376h/1957m.
• tafsir alquran almusamaa tabsiralrahmin wataysir almanani, lilshaykh eali bin 'ahmad bin 'iibrahim almahayimi, tabeat bulaq (msr) d t.
• takwin aleaql alhadithi, talifu: jun hirman randal, tarjamatu: jurj taemahu, dar althaqafa (birut) d t.
• aljamie alsahih lil'iimam 'abi eabdallah muhamad bin 'iismaeil albukhari, tahqiqu: muhibi aldiyn alkhatib, dabta: muhamad fuad eabdalbaqi, almatbaeat alsalafia (alqahirata) , ta1 1400h.
• aljamie alsahih wahu sunan al'iimam altirmadhi, tahqiqu: 'ahmad muhamad shakiri, matbaeat mustafaa albabi alhalbi, ta2 1398h/1978m.
• hashiat al'iimam albayjurii ealaa jawharat altawhid , dar alsalam tu1 1422h/2002m.

• alhikmat fi makhluqat allah lil'iimam 'abi hamid alghazalii , tahqiqu: muhamad rashid qabaani, dar 'iihya' aleulum (birut) ,t1 1398h/1978m.
• haliat albashar fi tarikh alqarn althaalith eashara, lieabdalrazaaq albitar, tahqiqu: muhamad bahjat albitar, dar sadir (birut) ta2 1413h/1993m.
• hiatuna wa'iin talat ..ealam dirasat tul aleumr walshaykhukhati, talifi: junathan silfirtawin, tarjamata: sahar twfiq, silsilat ealam almaerifa (almajlis alwatanii lilthaqafat walfunun waladab alkuayti) eadad (438) yuliu 2016m.
• khalaq al'iinsan bayn altibi walqurani, du. muhamad ealii albari, aldaar alsueudiat lilnashr (alriyad) tu4 1403h/1983m.
• ruh almueanaa faa tafsir alquran aleazim walsabe almuthanaa , lilealamat 'abaa alfadl shihab aldiyn alsayid mahmud alalwsaa albaghdadaa , dar 'iihya' alturath alearbaa (birut) , d 0 t.
• sunan 'abi dawud, tabeat bayt al'afkar alduwlia (alrryad) d t.
• alsunan alkubraa lil'iimam alnisayiy, tahqiqu: shueayb al'arnawuwt , muasasat alrisala (birut) 1421h / 2001m.
• shdharat aldhahab fi 'akhbar min dhahab liaibn aleamadi, tahqiqu: eabdalqadir al'arnawuwt mahmud al'arnawuwta, dar aibn kathir (dimashq bayrut) ta1 1406hi/ 1986m.
• sharah sahih muslim lilqadi eiad almusamaa 'iikmal almuealim bifawayida, tahqiq da: yahyaa aismaeil, dar alwafa' (alqahirati) ta1 1419hi/ 1998m.
• aldaw' allaamie li'ahl alqarn altaasie lishams aldiyn alsakhawi, manshurat dar maktabat alhayaa (bayrut lubnan) d . t.
• tabaqat alshaafieiat alkubraa, litaj aldiyn alsabki, tahqiqu: mahmud muhamad altanahi eabdalfataah muhamad alhulu, dar 'iihya' alkutub alearabia (mutabaeat eisaa alhalabi washarkahi) ta1 1383h/1964m.
• ealim yafid bisukaanihi, talifu: sir ruy kalin, tarjamatu: laylaa aljibali, silsilat ealam almaerifa (almajlis alwatanii lilthaqafat walfunun waladab alkuaytu) eadad (213) sibtambar 1996m.
• eindama taghayar alealamu, talifi: jims birki, tarjamatu: laylaa aljabalaa, ealam almaerifa (almajlis alwatanii lilthaqafat walfunun waladab alkuayti), eadad (185), mayu 1994m.

• alfarq bayn alfiraq li'abi mansur eabdalqahir albaghdadii, tahqiqu: muhamad muhyi aldiyn eabdalhamid, dar altalayie (alqahirati) 2009m.
• alfalsafat almadiyat watafkik al'iinsani, da: eabdalwahaab almasiri, dar alfikr (dimashqa) tu4 1431hi/2010m.
• qisat alhadarat , wal diuranti, tarjamat : zaki najib mahmud, muhamad badran, maktabat al'usrat 2003m.
• qadiat almar'at bayn altahrir waltamarkuz hawl al'unthaa (5), di: eabdalwahaab almasiri, majalat al'azhar, shaeban 1436hi/yunyu2015m , aljuz' (8) alsana (88.(
• kitab almaqfaa alkabir litaqaa aldiyn almiqrizia , tahqiqu/ muhamad albaelawi, dar algharb al'iislamii , tu1 1411hi/1991m.
• kitab alwafi bialwafyat lisalah aldiyn alsafadii, tahqiqu: 'ahmad al'arnawuat turki mustafaa, dar 'iihya' alturath alearabii (bayrut lubnan) ta1 1420h/2000m.
• allibab fi tahdhib al'ansabi, laeazu aldiyn aibn al'uthir aljazari, maktabat almuthanaa (baghdad) d t.
• allibab fi eulum alkitabi, li'abi hafs eumar bin ealiin aldimashqii alhanbali, tahqiqu: eadil 'ahmad eabdalmawjud waghayruhu, dar alkutub aleilmia (bayrut lubnan) ta1 1419h/1998m.
• lisan alearab liabn manzuri, dar sadir (birut) ta6 2008m.
• lughz alhadarat alfireawniati, du: sayid krim, alhayyat almisriat aleamat lilkitabi, 1996m.
• allamae fi alradi ealaa 'ahl alziygh walbidae lil'iimam 'abu alhasan al'asheari, qadim lah waealaq ealayhi: du. hamuwdah ghirabahu, matbaeat misr 1955m.
• allah yatajalaa fi easr aleilmi, talif nukhbat min aleulama' al'amrikiiyna, tarjamatu: alduktur aldamardash eabdalmajid sarhan, dar alqalim (bayrut lubnanu), d t.
• mujmal allughat li'abi alhusayn 'ahmad aibn faris, tahqiqu: zuhayr eabdalmuhsin sultan muasasat alrisala (birut) ta2 1406h/1986m.
• almadkhal 'iilaa eilam aldaewati, muhamad 'abu alfath albianuniu, muasasat alrisala (birut) ta3 1415h/1995m.
• almusnad lil'iimam 'ahmad bin hanbal , sharh watahqiqu: hamzat 'ahmad alzayni, dar alhadith (alqahirati) ta1, 1416h/1995m.

• almuejam alshaamil limustalahat alfalsafati, da.eabdalmuneim alhafnii, maktabat madbuli (alqahirati) tu3 2000m.
• almuejam alfalsafiu , da. jamil saliba, dar alkitab allubnanii 1982m.
• almalal walnahl li'abi muhamad bin eabdalkarim alshahristani, tahqiqu: 'a. eabdialeaziz muhamad alwakil, alhalabi (alqahirati). d t.
• almawsueat alearabiat alealamiatu, muasasat 'aemal almawsuea (alriyad) ta2 1999m.
• almawsueat aleilmiat fi al'iiejaz alqurani, du: samir eabdalhalimi, maktabat al'ahbab (dimashqa) tu1 1421hi/2000m.
• mawsueat kashaaf aistilahat alfunun waleulumi, lilealaamat muhamad eali altahanwy, tahqiqu: da. eali dahruja, (maktabat lubnan nashiruna), ta1 1996m.
• almusueat almuyasarat fi al'adyan walmadhahib wal'ahzab almueasirati, dar alnadwat alealamia (alriyad) ta5, 1424h/2003m.
• nuzum aldarar fi tanasub alayat walsuwr, liburhan aldiyn albiqaeii, dar alkitaab al'iislamii (alqahirata) d . t.